المنظومة
ALMANDUMAH

| | |
|---|---|
| العنوان: | الرحلات الأندلسية ودورها في توثيق الحقبة الأخيرة من تاريخ الأندلس: دراسة تاريخية تحليلية |
| المصدر: | حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية |
| الناشر: | جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي |
| المؤلف الرئيسي: | العوهلي، بدرية بنت عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد |
| المجلد/العدد: | الحولية43, الرسالة615 |
| محكمة: | نعم |
| التاريخ الميلادي: | 2023 |
| الشهر: | مارس |
| الصفحات: | 9 - 80 |
| DOI: | 10.34120/0757-043-615-001 |
| رقم MD: | 1383465 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| اللغة: | Arabic |
| قواعد المعلومات: | EduSearch, AraBase |
| مواضيع: | التاريخ الأندلسي، الوثائق التاريخية، التاريخ الإسلامي، الحجري، شهاب الدين أحمد بن قاسم |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/1383465 |

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

المنظومة
ALMANDUMAH

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA
العوهلي، بدرية بنت عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد. (2023). الرحلات الأندلسية ودورها في توثيق الحقبة الأخيرة من تاريخ الأندلس: دراسة تاريخية تحليلية.حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية43, الرسالة615 .80 - 9 ، مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1383465

إسلوب MLA
العوهلي، بدرية بنت عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد. "الرحلات الأندلسية ودورها في توثيق الحقبة الأخيرة من تاريخ الأندلس: دراسة تاريخية تحليلية."حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيةالحولية43, الرسالة615 (2023): 9 - 80. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1383465

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

الرسالة (615)

# الرحلات الأندلسية ودورها في توثيق الحقبة الأخيرة من تاريخ الأندلس:

## دراسة تاريخية تحليلية

# The Role of Andalusian Travels in Documenting the Last Period of the Andalusian History: An Analytic Historical Study

**أ. د. بدرية بنت عبد العزيز بن عبد الله العوهلي**
كلية العلوم والدراسات الإنسانية – جامعة شقراء
المملكة العربية السعودية

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية – الحولية الثالثة والأربعون 1444هـ/2023م

**المؤلف:**

**أ. د. بدرية بنت عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد العوهلي**

- أستاذ التاريخ الإسلامي، كلية العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة شقراء.
- رئيس تحرير مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، عميد ووكيلة معهد الدراسات والخدمات الاستشارية سابقاً.

**الإنتاج العلمي :**

1- المدينة الإسلامية في كتابات الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش محاولة في الرصد والتحليل، دراسة مشتركة نشرت ضمن مسارات تجديد الكتابة التاريخية عند المؤرخ إبراهيم بوتشيش 2022م

2- مكانة سبتة في الصراع بين الأندلس والقوى السياسية في المغربين الأوسط والأقصى خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي - دراسة تاريخية، منشورة بمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 2020م.

3- المثاقفة بين المسلمين والنصارى في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية-92 422هـ/ 711 - 1031م دراسة تاريخية حضارية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار،ع2 مج14 حزيران 2020م.

4- الجوانب الحضارية عند ابن عبدون في كتابه رسالة في القضاء والحسبة- التعليم أنموذجاً - دراسة تاريخية حضارية مقارنة، منشورة بمجلة المؤرخ المصري ج 1، ع54 ،2019م.

5- النزعة الوطنية في كتابة التاريخ الأندلسي، نشر بجامعة القاهرة ع 39،1434هـ 2013م.

6- السمات العامة لكتب التراجم في الأندلس University of Malaya أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا عام 2012م

7- جهود المقري في البحث التاريخي من خلال كتابه «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب» (986 - 1041هـ/ 1578 - 1632م) 1424هـ - 2003م (كتاب قيد الطبع).

8- مصادرابن بسام الشنتريني في كتابة الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة «دراسة تحليلية» (450 - 542هـ/1058 - 1147م) (كتاب قيد الطبع)

9- إسهامات لسان الدين بن الخطيب الطبية من خلال مقنعة السائل في المرض الهائل . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1438هـ - 2017م .

10- المرأة في كتابات ابن حزم ضمن مطبوعات المؤتمر الدولي للعلوم التطبيقية ICBTS جامعة لندن، 1435هـ - 2014م.

* مناقشة عدد من الرسائل العلمية، تحكيم بعض الأبحاث والدراسات، عضوية عدد من اللجان العلمية، منها: الجمعية التاريخية، جمعية التاريخ والآثار الخليجية، وغيرها.

* المشاركة في المؤتمرات الدولية والعربية والمحلية، حضور عدة دورات دولية ومحلية .

# فهرس المحتوى

## الملخّص

تعتبر رحلة الشهاب الحجري الملقب أفوقاي، من الوثائق التاريخية المهمة التي أَرَّخت لحدث إجلاء الموريسكيين من الأندلس، وهي المصدر الوحيد الذي حَفظَ لنا شيئًا من سيرته وأخباره بالإضافة لرسائله وتدويناته البالغة الأهمية، وذلك بعد أن أهمَلَت المصادر ذكره وفُقدت آثاره، وتتعلق أهمية هذا البحث بالظرف التاريخي بالغ الأهمية الذي ألَّف خلالَه المؤلفُ رحلته وكتب رسائله إبَّان قرار إبعاد المسلمين وتهجيرهم من بلاد الأندلس، ودور الرحلة التوثيقي لحوادث الحقبة الأخيرة من تاريخ الوجود الإسلامي في تلك الديار، خاصة أنها كُتبت من قبل موريسكي شاهد عيان عايَش حوادثَ الإجلاء والإقصاء للمسلمين هناك، فضلا عن توثيق الرحلة لجهوده ونتاجه العلمي.

***الكلمات الدالة (المفتاحية)***: أفوقاي، الشهاب الحجري، الموريسكيون، النصارى، الكنيسة الكاثوليكية.

# تـوطئـة

تتعلق أهمية هذه الدراسة بالظرف التاريخي بالغ الأهمية الذي ألَّف خلالَه المؤلفُ كتابَه: «مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب»، إبَّان قرار إبعاد مسلمي الأندلس وتهجيرهم وترحيلهم وفقَ الخطة التي رسمها فيليب الثالث، وما ترتَّب على هذا القرار من اضطهادات وتعسُّف وانتهاكات، إضافة لتعقُّب محاكم التفتيش لهم، فسلَّطَت قوتَها وجبروتَها على كل مَنْ أظهر إسلامَه أو لم يؤدِّ شعائرَ النصرانية وطقوسهم، إضافةً إلى معاصرة «أفوقاي» لظهور الثورة العقدية الدينية التي عمَّت أوروبا، وشملت الكنيسةَ الكاثوليكية ورجالاتها خلالَ تلك الفترة، وما ترتَّب على ذلك من آثار بدَت واضحةً في كتابات المؤلف، هذا ويأتي توقيت وصول «أفوقاي» إلى بلاد المغرب أواخرَ عهد السلطان المنصور الذهبي (1012هـ/1603م) الذي أعقَب وفاتَه فترةٌ من الاضطراب السياسي، وثَّق أفوقاي بعضَ حوادثها، وإن كانت الإشارات التي سجَّلَها عن هذه الفترة قليلة، إلا أنها تضفي على رحلته مزيداً من قيمتها التوثيقيةَ بصفته شاهدَ عيان ومعاصرًا لما يُدونه من حوادث وموضوعات، وتُسلط الضوء على بعض الأوضاع السياسية، والفكرية والاجتماعية والدينية إبَّان تلك الفترة.

هذا ولم يحظ أفوقاي بدراسة متخصصة تقف على الأهمية التاريخية والقيمة التوثيقية لمؤلفاته ورسائله -فيما وقفنا عليه-، بخلاف ما قدمه محققو رحلته من معلومات مهمة في مقدمة التحقيق حول سيرته والتعريف به، وأهمها: كتاب (**ناصر الدين على القوم الكافرين** «مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب») تحقيق محمد رزوق، والكتاب نفسه (**ناصر الدين على القوم الكافرين**، أحمد الحجري «أفوقاي») تحقيق حسام الدين شاشية، بالإضافة إلى بعض الدراسات القيمة التي أضاءت جوانب كثيرة في حياته ومسيرته مثل: (من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي: كتاب العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل **الله**

بالمدافع) لعبدالله عنان، وهي دراسة تعريفية مختصرة في تسع صفحات عن كتاب العز والمنافع الذي ترجمه أفوقاي عن الإسبانية، (أحمد بن قاسم الفقاي الحجري آخر موريسكي يؤلف بالعربية ويدافع جهرة عن الإسلام) لعبد الوهاب ابن منصور خصصها للحديث بالتفصيل عن مغامرة هرب أفوقاي من الأندلس إلى المغرب، واستعرض مؤلفاته، (أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي «أفوقاي» المترجم والرحالة والسفير) لرشا الخطيب وهي دراسة أدبية تناولت موضوع الاستشراق الأوربي والدراسات العربية في أوربا من خلال رحلة أفوقاي، (تقديم لكتاب ناصرالدين على القوم الكافرين أو مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب للفقيه أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي، أفوقاي: تحقيق محمد رزوق) لعبد الرحيم عدناوي، وقدم فيها وقفات حول مقدمة محمد رزوق محقق الكتاب في تسع صفحات، (الجدل الديني من خلال كتاب ناصرالدين على القوم الكافرين) لحسام شاشية خصصها لمناقشة المناظرات الدينية بين أفوقاي والنصارى واليهود، (رحلة ناصرالدين على القوم الكافرين وتحقيقاتها: نقد واستدراك من نسخة مكتشفة حديثاً) لأحمد السعيدي، سعى من خلالها إلى فحص تحقيقات الرحلة والوقوف على الملحوظات حول التحقيق. وجميع الدراسات السابقة جاءت مختلفة عن موضوع دراستنا، لكنها كانت بلا شك مرجعاً مهماً لا غنى عنه في هذه الدراسة التي ستنطلق حدودها ما بين بلاد الأندلس وبلاد المغرب الأقصى وفرنسا وفق ما تَنقل صاحب الرحلة، خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس عشر الميلادي، وستسلط الضوء على عدة محاور: المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وتكوينه العلمي، والوقوف على كتاب الرحلة ومنهجه ومصادره، المبحث الثاني: دَوْر الرحلة في التوثيق التاريخي للحقبة الأخيرة من الأندلس، المبحث الثالث: تقييم جهود أفوقاي التاريخية من خلال نتاجه العلمي، ثم الخاتمة والملاحق، يليها قائمةُ المصادر والمراجع، وسيتم اتباع المنهج التاريخي التحليلي النقدي القائم على الاستقراء بالرجوع للمصادر الأصيلة.

# المبحث الأول

## أولاً – التعريف بالمؤلف وتكوينه العلمي:

من خلال تتبع أخبار أفوقاي في مختصر رحلته المسماة: (ناصرالدين على القوم الكافرين) والخاتمة التي ذيَّل بها كتاب: (العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع) الذي ترجَمَه عن الإسبانية، وتحدَّث فيه عن رحلته التي دونت بعض من سيرته ونشأته وأخباره ومشاهداته، بعد أن شَحَّ مؤلفو ومؤرخو عصره بالترجمة له.

## (أ) نسبه ومولده ونشأته:

هو أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه قاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي، يكنى أبا العباس، ولقَّبَه المغاربة بالشهاب، والإسبانيون بالبيخارانو Bejarano وهو الاسم الموريسكي الذي اشتُهر به في إسبانيا، وقد وقَّع إحدى رسائله بهذا الاسم «Ahmed bencacim bejarano Andaluz» أحمد بن قاسم بيخارانو الأندلسي، وهي الرسالة التي وجَّهها – وهو في باريس– إلى الموريسكيين في القسطنطينية سنةَ 1020هـ/1612م، حيث لجأ الموريسكيون إلى التخفِّي عن السلطات الإسبانية بأسماء إسبانية إلى جانب أسمائهم الإسلامية المتعارَفة بينهم سِرًّا. وكتب أفوقاي بخطه في مقدمة مخطوطة: مختَصَر الرحلة شهاب الدين أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه القاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي، هذا ولا تزال بقايا أسرة أفوقاي موجودة بتطوان، يُعرف أبناؤها بأولاد الفُقَّاي، وأفوقاي هو اللقب الذي عُرِفَ به بين الموريسكيين، وهو تحريف لكلمة: أبوكادو Abocodo، وتعني باللغة الإسبانية المحامي، بالرجوع إلى مهمته في الدفاع عن الموريسكيين المنهوبين مِنْ قِبَل ربابنة السفن الفرنسية، ترجَم له الإفراني نقلًا من سيرته التي سطَّرَها في رحلته

المفقـودة، وكَنَّاه الشيخ أبـا العبـاس وسمَّاه أحمد أفقاي الأندلسي، كما ترجَم له السملالي، وكان كتاب «النزهة» للأفراني، أحد مصادره في الترجمة له، وقد جاء اسمه عندَه: أحمد الشهاب الحجري الأندلسي، المعروف بأفوقاي.

ولم يُفصِح أفوقاي عن سنةِ مولده في رحلته، أو في الخاتمة التي ذيَّلَها على كتاب العز والمنافع كغيره من الكتاب الذين لم يعنهم ذلك، ولعله سلَك مسلكَ بعض مَنْ سلَفَه أو عاصَرَه من الذين لم تكن تلك المعلومات تهمهم في وقتها، إلا أنها تشكل أهمية بالغة لمن لحقه أو في عصر غير عصره، خاصة عندما يتعرض التراث الإسلامي لعوارض التلف أو الضياع، وقد جرت العادة ببعض الكُتاب والمؤلفين أن لا يصرحوا بسنة مولدهم إما تحرجاً من تتبُّع سنهم، أوقد يكون سهوًا، ويرجح مولدُه سنة 977هـ/1570م إبَّان ثورة غرناطة، حسبما يُفهَم من جملة كتبَها بخط يده في حاشية كتابه ناصر الدين على القوم الكافرين، حيث ذكر أنه عندما دوَّن كتابَه كان يبلغ من العمر أربعًا وسبعين سنةً، وأنه انتهى من تأليفه في العشرين من رجب سنةَ 1051هـ/1641م، في قرية من قرى غرناطة، تسمَّى الحَجَر الأحمر التي يُنسَب إليها فيقال له: الحجري، وفي زمن ولادته تم القضاء على ثورة غرناطة، وتهجير نحو خمسين ألفًا من الموريسكيين فيها إلى مناطق متفرقة في قشتالة وغيرها، فنشأ كغيره من الموريسكيين الذين يُظهِرون النصرانيةَ ويُبطِنون الإسلامَ، وشهد معاناتهم التي عاشوها إثرَ القرارات الملكية التي أقصتهم وضيَّقَت عليهم، وعايَش أدقَّ تفاصيلها؛ وذلك بعد نحو قرن وربع على سقوط غرناطة 897هـ/ 1493م، وعندما بلغ سن تسع عشرة سنة تقريباً توجه إلى غرناطة سنة 966هـ/1588م.

أقبَل أفوقاي على دراسة اللغة القشتالية وآدابها حتى أتقنها؛ طالبًا بذلك التحصيلَ والمعرفةَ ليتمكَّن من التعامل و«الأخذ والعطاء» مع الإسبان حسبَ تعبيره، وعندما عزَم على الهجرة من بلاد الأندلس إلى بلاد الإسلام كرَّس

وقتَه وتفرَّغ سنوات لدراسة الأعجمية القشتالية فأتقَنَها تحدُّثًا وكتابةً، وتمكَّن منها لدرجة أنه لا يشكُّ أحدٌ في أنه قشتاليّ، كما تمكَّن من دراسة كتب الإسبان ومطالَعتها، وقد ساعَدَه معرفتُه بالبرتغالية وتمكُّنه من الثقافة الإسبانية على تسهيل مهمته في الخروج من بلاد الأندلس إلى بلاد المسلمين، وكان حريصًا أن لا يُثير الشكوكَ حولَه خاصةً عندما يصل وهو في طريق خروجه إلى الأماكن الساحلية التي كان أهلها شديدي التضييق على الغرباء؛ تحرُّزًا من أن يكونوا أندلسيين هاربين، وهكذا تمكَّن أفوقاي من التعايش وفقَ الظروف والمحن التي لحقت بالمسلمين في بلاد الأندلس خلالَ أواخر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، بالإضافة إلى معرفته الإنجيل والديانة المسيحية والتوراة والديانة اليهودية.

أما أحكام الإسلام والعلوم الشرعية، واللغة العربية فقد تعلَّمَها من أفراد أسرته، فذكر أنه عندما بلغ عشر سنوات حضر إلى دارهم ابن عم لوالده وصفَه بأنه رجل صالح كان يعرِف القراءةَ باللغة العربية فطلَب منه أن يعلمه أولًا حروف الهجاء العربية، فأجابه إلى طلبه فتعلم منه اللغة العربية وسطَ مخاوف منهم بسبب متابَعة تطبيق القرارات الملكية الإسبانية بمنع استعمال اللغة العربية بين المورسكيين، واستعرض أفوقاي موهبته ونباهته وتفوقه وشَغَفه بتعلم اللغة العربية، رغم خطورة ذلك– فيقول: «إن قراءتي في أقل من يوم واحد كان ذلك هبة وتوفيقًا من **الله**»، وذكَر أن **الله** هو مَنْ سهَّل له هذا الأمرَ، و**الله** يسهل على أهل العلم على قدر حالهم، رغمَ صعوبة الأمر وقراءتها في الألواح، ثم إخفاء تلك الألواح، إلى أن زفَّ البشرى لوالده واستعرَض بما تعلَّمه أمامَه، وشهد ببراعته ابنُ عم والده.

ورغمَ أن أفوقاي كان يخفي معرفتَه باللغة العربية خشيةً من النصارى؛ إلا أنه حقَّق شهرةً واسعةً بينهم ببراعته فيها ومعرفته لها؛ ما جعله يشك عندما

فقد ورقة له كتبها بالعربية أن تكون  قد وقعت منه في يد نصراني أو مسلم يعرِف خطَّه فيدلُّ عليه النصارى، إلا أن أمر ضلاعته في الترجمة ما لبث أن افتُضِح عندما اكتشف أسقفُ غرناطة أنه يُجيد اللغة العربيةَ؛ حيث كان يحضر مجالس لترجمة نصوص عربية، وُجدت في رقوق رصاصية سنةَ 966هـ/ 1588م في جدار صومعة الجامع الكبير بغرناطة، وقد كُتبت بالأعجمية والعربية، وقد قام على ترجمتها بعضُ المترجمين من كبار السن الحاصلين على إجازة بالترجمة، وكانوا عارفين باللغة العربية، وبعدَها بسبع سنوات تم اكتشاف رقوق رصاصية في الصومعة المذكورة، كلُّ ورقة منها قدرَ كف اليد مكتوبة بالعربية، وفي أحدها ذكر للرق الأول المكتَشف قبل سبع سنين، وأمر القسيس نفرا من المترجمين الأندلسيين العارفين بترجمتها، وأفوقاي يحضر معهم مجالس الترجمة، وكانوا كلما أشكَل عليهم لفظٌ أو معنى دلَّهم أفوقاي عليه وصحَّح لهم، فلاحَظ الأسقفُ أنه يجيد العربية يقول: «لم نظهر للنصراني أنني أقرأ بالعربية لما كانوا يحكمون فيمن يظهر عليه ذلك،... ونظرني القسيس وقال: أنتَ تعرف تقرأ بالعربية، فلا تخف» وطمأَنَه بالحاجة إليه، ولما سأله أين تعلَّم اللغةَ العربية، اعترف بأنه أندلسيٌّ أصلُه من قرية الحجر الأحمر التي كان أهلها يتكلمون باللغة العربية، ثم ادَّعى كذبًا أنه بعد ما أتقن اللغة القشتالية ذهَب إلى – مذريل – مدريد، وتعلَّم فيها قواعد اللغة العربية التي كانت مباحةً في غير دين الإسلام على يد طبيب أندلسي من بلاد بلنسية، ولَمَّا طلَب منه أن يدُلَّهم عليه زعَم أنه مات منذ سنتين أو ثلاث، ويردف: «تسترتُ بالكذب مِنْ شَرِّهم»، ولا زالت ثقتُهم في ثقافة أفوقاي وحاجتُهم إليه تزداد حتى منحوه رخصة، وأذن بالترجمة من العربية للأعجمية والعكس، وأصبح مترجماً للقسيس الأعظم في غرناطة، وكافأه بمبلغ مالي قدره ثلاثمائة ريال لقاء ترجمته ما استعصى على غيره من المترجمين، «ففرح القسيس فرحًا

عظيمًا بما ترجمتُ، وأعطاني ثلاثمائة ريال، وأيضًا كتابًا بالإذن للترجمة»، فذاع صيتُه واشتهر بينَهم لدرجة أنهم يشيرون إليه ويقولون: هذا هو الذي فهم الرق، وقد شرح أفوقاي طريقتَه في الترجمة، وعرَض نماذج منها للقارئ، وكان يَفهم جميعَ حوارات النصارى التي كانت تدور أمامَه، ومن ذلك قولُه: «قال ذلك أيضًا بلسانهم وكنتُ أفهمه».

وبرغم المكانة والشهرة والامتيازات التي حصل عليها أفوقاي في الأندلس، إلا أنه فضل الهجرة إلى المغرب سنة 1007هـ/ 1598م، في رحلة هرب معقدة مليئة بالمغامرة محفوفة بالمخاطر، خاصة مع وجود القوانين الإسبانية التي كانت تمنع الموريسكيين من السفر. وكان وصوله إلى مراكش في المغرب وعمره تسع وعشرون سنة تقريباً أواخرَ عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي (ت 1012هـ/1603م)، وأهَّلته صفاته وثقافته المتنوعة أن يعمل في ديوانه بالترجمة، وهناك تمكَّن من مصاحبة العلماء والأدباء والفقهاء في بلاطه، وقام بالمهمة ذاتها لدى ابنه السلطان زيدان (1037هـ/1627م)، ثم ابنيه عبدالملك (ت1040هـ/1630م)، والوليد (ت 1045هـ/1635م).

ومن الحوادث المهمة في حياة أفوقاي تقلده السفارة إلى فرنسا وهولندا، بأمر من السلطان زيدان؛ ليتولَّى مهمةَ الدفاع والمرافعة عن الموريسكيين المنهوبين من قبل ربابنة السفن الفرنسية، وزار خلال هذه المهمة العديد من المدن الفرنسية مثل: باريس، بردو، وليون، والهولندية مثل: أمستردام، لايدن، لاهاي، وفيها تعرف على المستشرقين الهولنديين: طوماس أربينيوس، وياكوباس خوليوس، هذا، وقد نجح أفوقاي في مهمته السفارية فاستطاع تحصيل قيمة من الأموال المسترجعة في فرنسا للموريسكيين الذين قاموا بتوكيله من أهل بلدته الحجر الأحمر، وهي حسبما ذكر: «نحو ألف أوقية فضة على الحساب المغربي، والثلثين ذهب في ورق الخصام مع القضاة والكُتاب، وغير ذلك، والحمد لله أن

كل من وكلني من الأندلس وصل له شيء من الدراهم»، وعاد أفوقاي من أوربا لمراكش سنة 1021هـ/1613م ومكث بها إلى سنة 1045هـ/ 1635م، ليستقر بعد ذلك لمدة وجيزة في مدينة (سلا) التي ركب منها البحر بنية الحج سنةَ 1046هـ/ 1636م، «وقضى الله الحاجة بأداء الفريضة بمكة المشرفة وبيت الله الحرام، والوقوف في المواضع السنية الشريفة المشروعة للمناسك،...وبعد أداء الفرض مشينا إلى المدينة، وسلمنا على أفضل من ظهر على وجه الأرض»، وفي طريق عودته مر بمصر سنة 1046هـ/1636م، واستقر بها فترة اشتغل خلالها أميناً بدكان محمد بن أبي العاصي الأندلسي، بعد ذلك توجه إلى تونس التي استقر بها، ثم لحق به أهله وهو ما يتضح من قوله: «في عام خمسين وألف كنت بمدينة تونس المحروسة بالله ساكناً في بيت وحدي، ..ثم بعد أشهر جاء ابني بزوجته.. ونزل عندي»، وفي تونس انقطعت أخباره ولا يُعرف متى ولا أين توفي، ويُرجح أنها كانت بعد سنة 1051هـ/1641م، حسبما ورد آخر تاريخ في رحلته، وهو تاريخ انتهائه من الزيادات والتنقيح للنسخة التونسية التي ختمها بقوله: «تمت هذه النسخة المباركة في اليوم العشرين من رجب من سنة إحدى وخمسين وألف على يد المؤلف للكتاب، كتبه بمدينة تونس المحروسة بالله والحمد لله على توفيقه».

ويتضح من كتاباته أنه نشأ وسط أسرة ميسورة الحال، وهذا الأمر جعَلَه لا يستطيع أن يشتري لصاحبه الذي يرافقه في رحلته للهرب من الأندلس خيلًا حينما اشترى لنفسه قائلًا: «اشتريتُ حصانًا من أحسن الخيل، .. وكنتُ أحب اشتري آخَر لصاحبي ولم يتيسَّر». والراجح أن حالته الاقتصادية قد تغيرت للأفضل بعد هجرته واتصاله بالبلاط السلطاني بالمغرب، وتشعب علاقاته السياسية وصداقاته، ورغم ذلك كان ينشد حياة هادئة بعيدة عن صخب السياسة، كما أن الحرية لديه لا يعادلها شيء، وهي مطلبه عندما فر بدينه

ونفسه من تعقب الإسبان، كل ذلك يتضح في قوله: «سعى القائد بن تودة في تعبير منه عن صداقتنا في إسبانيا إلى إلحاقي بالمؤسسة الملكية لكنني رفضت وبقيت محافظاً على حريتي، رغم ذلك حدد لي الملك عطايا كريمة، سبب رفضي كان حداثة المملكة والقلاقل التي كانت بها».

وأورد أفوقاي بعض المعلومات عن حياته الخاصة وسيرته في الرسالة التي أرسلها من البلاط الفرنسي في باريس إلى الموريسكيين بالقسطنطينية في ربيع الأول سنة 1021هـ/2 مايو 1612م، وفيها ذكر أنه تزوج من ابنة البرطال رئيس الطائفة الأندلسية بمراكش، وأنجب منها ولدين وبنتين.

## (ب) شخصيته:

يتضح من خلال استقراء بعض الحوادث والقصص والمشاهدات والمناظرات التي أوردها أفوقاي في رحلته، أنه كان يحمل عددًا من السمات التي ميزت شخصيته يمكن أن نذكر منها:

**قوة الحجة والحضور**: تميَّزَت شخصية أفوقاي بقوة الحجة والحضور والقدرة على الخطابة والإلقاء، وهي غالبًا صفةٌ تميز بها مَنْ يجيد المناظَرات والمجادَلات، وقد بلَغ في ذلك درجةً جعلت السلطانَ أحمد المنصور الذهبي (ت1012هـ/1603م) يتعجَّب من قوة حضوره وبراعة كلمته التي ألقاها في ديوانه سنة 1007هـ/1598م بمراكش، والتي اختار كلماتها بعناية وألقاها «بصوت جهير أسكت جميعَ الحاضرين كأنها خطبة، ففرح السلطان، وقال: كيف يكون ببلاد الأندلس مَنْ يقول بالعربية مثل هذا الكلام؟! لأنه كلام الفقهاء». وبلا شك أن تلك الحجة كانت بسبب تنوع ثقافته وثرائها مما فتَحَ له الآفاقَ وكان ذلك سبباً مكَّنَه من الحظوة لدى سلطان مراكش؛ فرشحه للسفارة إلى فرنسا للدفاع عن مجموعة من المسلمين الذين نهَب النصارى أموالَهم،

وهناك أثار أفوقاي إعجاب النصارى بشخصيته فقالوا: «تعجَّبْنا منك تحفظ الألسنَ وتقرأ الكتب، وسرتَ في المدن والأقطار ومع ذلك تكون مسلمًا». وقال معرِّفًا بنفسه لمجموعة من القساوسة في إحدى المناظَرات، عندما كان في باريس، وقد تعجَّبوا في ذلك المجلس من غزارة معرفته وحضور حجته التي لم يمر عليهم مثلُها، فقال: «اعلموا أنني ترجمان سلطان مراكش، ومن كان في تلك الدرجة يحتاج يقرأ في العلوم وكتب المسلمين، وكتب النصارى؛ ليعرف ما يقول وما يترجم بحضرة السلطان»، فزادوا في توقيره واحترامه، ورغبوا في إطالة الحوار معه، وأمروا خدَّامَهم بمصاحبته لداره.

هكذا كانت قوة الحجة حاضرة في جميع مناظَراته ومجادلاته الدينية، نتيجة ثقافته الواسعة واطلاعه ومعرفته بكُتُب النصارى واليهود، حيث بلغت قوة الحجة لديه أن يحدِّد الجزء الذي ورَد فيه إدعاءات التثليث في كتب النصارى، ويردُّ عليه في مناظرة مع أحدهم؛ كقوله: «.. في الإنجيل ما يُنسَب لما قلتُ للراهب: إن سيدنا عيسى –عليه السلام– إنسان وليس بإله، ... أما ما ذكر البارفليط فهو فيما كتَب يوحنا في الفصل الثالث والثلاثين، وخمس وثلاثين، قال..»، وقوله: «قال متى في الفصل الثامن والسبعين»، و«وقال يوحنا في الفصل الثالث والأربعين»، وقال: «أعلم أن النصارى أخذوا كفرَهم وشركَهم ممَّا كتب يوحنا المنجلي.. وخطبته في الباب الأول»، وفي أحد المجادلات ذكر أفوقاي عدداً قرأه في الإنجيل، لكن رد عليه من يناظره من النصارى قائلاً: «لم تبلغ هذا العدد الذي ذكرته، قلت: هذا الذي قرأته، فأحضر الإنجيل، فوجدوه كذلك، وقد ذكر هذه المسألة في موضعين في الإنجيل، في الفصل الخامس عشر...ولم يجدوا ما يجاوبوا به»، وبلغ من قوة حجته التي يمتلكها ومناظراته الناجحة والمؤثرة أن عرض عليه أحد القضاة النصارى ويُلح ويكرر مراراً أن يبدل دينه ويعتنق النصرانية، فيقول له: «إنه يليق بك أن ترجع نصرانياً»،

وهذا الآخر يخشى على عمه أثناء المناظرة مع أفوقاي أن يتأثر ويتحول عن النصرانية للإسلام.

كما اتضح أنه يحمل عدداً من الصفات النبيلة ومنها الشجاعة والجرأة في وقت امُتحن فيه المسلمون في دينهم وعقيدتهم وأنفسهم واخفوا معارفهم العربية، ويبرز **تواضعُه الشديد** رغم سعة ثقافته وتمكُّنه من الترجمة وتفوُّقه على غيره فيها، وكان يقول: «وأما ما ترجم به كل من سبقنا وكان فيهم أعلم مني»، وعندما عرَّف بنفسه في مهمته السياسية في باريس ذكر أنه يحمل ثقافةً وعلومًا ومعارفَ شتى في كتب المسلمين وكتب النصارى؛ لأن مهمته تتطلَّب منه ذلك، ثم أردَف قائلاً: «وأمَّا إذا كنت بحضرة علماء ديننا لا أقدر أتكلم في العلوم بحضرتهم».كما تميَّز **بالأمانة** في عمله؛ حيث نجده يتحرَّى عدمَ تبديل المعاني والكلمات أثناء الترجمة، ومن ذلك قوله: «أمَّا ما ذكر في الرق أن علامة النحس الذي ينزل بالنصارى يكون إذا أخذ المشرفي مدينة الحجر، فكنتُ قد أظهرتُ نسخةً من الرق المذكور لمولاي سلطان مراكش – رحمه **الله**– قال واحد من قواه لو كنتَ تبدِّل (القاف) (بغاء) ليقول: إن مدينة الحجر يملكها الشريف، فيفرج بذلك الشأن، قلتُ: لا أبدِّل شيئًا إن شاء **الله**».

## (ج) شيوخه ومعاصروه:

ذكر أفوقاي في رحلته عدداً من الشيوخ الذين أخذ عنهم ومنهم: محمد بن يوسف الترغي (ت1009هـ/1600 – 1601م)، وقرأ في غرناطة على الشيخ الأكيحل الأندلسي (ت 1016هـ/1607م تقريباً)، «شيخ الترجمة بالإجازة قرأت عليه هنالك، وعرفت خطه العجمي والعربي»، وأفاد منه كثيراً في الترجمة من الأعجمية للعربية، والفقيه أحمد المعيوب الفاسي الأندلسي (ت1022هـ/1613م) أخَذ عنه كثيرًا من علْم الأحكام وعِلْم التنجيم والخطوط على الرمل والجداول العددية، والقاضي أبو عبد**الله** الرجراجي (ت1022هـ/1614م)، والشيخ علي

الأجهوري (ت1066هـ/ 1656م)، قال عنه العلامة الشيخ الأثير فقيه شهير في المذهب المالكي، يُثنى عليه في مصر وغيرها من البلدان والأقطار كان يأخذ بنصائحه وفوائده، ومنهم أحمد ابن الحاج أحمد التوني (ت1083هـ/1673م) قال عنه: «ذكرتُ ذلك لشيخنا الفقيه الخير أحمد بن الحاج التوني»، وقال: «قال لي بمراكش شيخنا، الخير الإمام، الفقيه، سيدي أحمد بن الحاج أحمد التواني»، ومنهم الشيخ الصالح الجبس، كما أفاد من مرويات كبار الصوفية، ومنهم: أحمد بن زَرُّوق بن عتبة الحضرمي توفي في العشرة الثالثة، وعلي بن أبي القاسم (توفي أول العشرة الخامسة للهجرة/ الحادية عشرة الميلادية)، وكان الفقيه أحمد بن أحمد بابا السوداني (ت1036هـ/1627م) من معاصريه الذين ورد ذكرهم في رحلته، ومنهم أحمد بن محمد المقري (ت1041هـ/1632م).

وأوضح أفوقاي أنه التقى في باريس بأكبر المنجمين في الأحكام النجومية، ورغم معرفته بأن علم التنجيم لا يقدِّم نتيجةً ولا مصداقية؛ حيث قال له المنجمُ: «هذا العلم لم نرَ له نتيجةً أبدًا في الأحكام، وقد جرَّبت كثيرًا من الاختبارات ولم يصدُق فيها واحدُ»، وسبق أن ورد أنه أَخَذ شيئًا من علم التنجيم على أيدي الفقيه أحمد المعيوب، وذكر أنه كان بارعًا في هذا العلم والخط الرملي وعلم الجدول العددي والحرفي، كما كانت له مؤلفات كثيرة في هذه الفنون، مستفيدًا من خزانة السلطان أحمد التي بلغت نحو اثنين وثلاثين ألف كتاب، وكان أفوقاي مطلعاً على كتب التنجيم، وهو ما يفهم من قوله: «قال كرتش المنجم في كتابه، وأيضا سمران الإشبيلي، وقد عرفته في المدينة إشبيلية اسماً وعيناً، وكذلك جِبِشْ، ذكر كل واحد في كتابه ما زاده وما نقص كل واحد».

## (د) مؤلفاته:

1- **رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب**، هذا المؤلف مفقود، وقد خصَّصه لتدوين رحلته السفارية إلى فرنسا، تنفيذًا لطلب شيخه علي الأجهوري المالكي، الذي

التقاه في مصر بعد عودته من تأدية مناسك الحج؛ ليسجل فيه أخبار رحلته ومناظراته مع المسيحيين واليهود، ويوجد من هذا المؤلف نقولات متفرقة في عدة مصادر احتفظت لنا بشيء من محتواه. يقول في سبب تأليفه: «وذكرت بعد ذلك حين وليت إلى مراكش شيئاً من الحكايات والمناظرات والأجوبة مني إليهم لبعض الإخوان، وطلب مني غير واحد من علماء المسلمين أن أعمل تأليفاً بذلك، ولم يتفق العمل، إلى أن أمرني شيخنا وبركتنا بمصر المحروسة بالله وهو العلامة... الشيخ علي بن محمد المدعو زين ابن العلامة الشيخ عبدالرحمن الأجهوري المالكي، بأكثر مما طلبوا، وجعلت التأليف رحلة سميتها **برحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب**، وذكرت فيها أولاً: بلاد الأندلس، وفي أي موضع هي من معمور الدنيا والأقطار المجاورة إليها،....ثم ذكرت من سكنها من الأجناس القديمة قبل دخول المسلمين إليها، وفي أي سنة كان افتتاحها،..ثم ذكرت بعض الملوك الصالحين المجاهدين، وأيضاً بعض رسائل لسان الدين بن الخطيب، ثم ذكرت الزمن الذي كانت بأيدي المسلمين إلى أن احتوت النصارى على جميعها، ثم ذكرت كيف كان حال المسلمين بين النصارى بعد أن أدخلوهم جميعاً كرهاً منهم في دينهم،....وأيضاً ذكرت ما اتفق لي بمدينة غرناطة مع القسيس الكبير في قراءة الرق المكتوب بالعربية والعجمية،....وما اتفق لنا في الخروج من بين النصارى، وكيف لطف الله بنا وفكنا منهم سالمين،...وذكرنا أيضاً الأسباب التي قال سلطان النصارى أنها حملته على إخراج المسلمين من بلاده، وأيضاً ما رأيت في أسفاري ورحلتي المشرقية والمغربية والجوفية من العجائب، وما وقع من الكلام والمناظرات مع النصارى العلماء والقسيسين والرهبان وأكابرهم في أمور الدين ببلاد الفرنج وفلنضس، وأيضاً مع اليهود وكنت أقرأ الرحلة على الشيخ الفاضل الذي أمرني بمصر أن أعمل الكتاب».

2 – **ناصرالدين على القوم الكافرين**، هذا المؤلَّف ألَّفَه أفوقاي كمختَصَر لكتابه المذكور أعلاه: «رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب» بناءً على طلب الشيخ علي الأجهوري في مصر سنةَ 1047هـ/1637م، يذكر أفوقاي أنه عندما رجع إلى مراكش من رحلته إلى فرنسا وهولندا – بلاد الإفرنج، وبلاد فلنضس– كما يسميها في رحلته حَدَّثَ الكثير من الإخوان عن الحكايات والمناظرات التي وقعت له في تلك الرحلة؛ فحضوه على التأليف فيها، إلا أنه لم يجب هذا الأمر إلا بعد ما يقارب أربعاً وعشرين سنة عندما طلبه منه الشيخ الأجهوري وهو مارٌ في طريق عودته من الحج إلى مصر. واستجابةً لهذا الطلب قام أفوقاي بتأليف كتابه رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، ولكن ضيق الوقت كما يقول أفوقاي وقف حائلاً أمامه فلم يستطع أن ينسخ الكتاب كاملاً للأجهوري الذي أمره باختصاره والتركيز على ما وقع له من مناظرات مع النصارى، فاستجاب لهذا الأمر، وقام بتأليف مختصر سماه «**ناصر الدين على القوم الكافرين**» وانتهى من تأليفه بمصر سنة 1047هـ/1637م، ثم قام بنسخه وتنقيحه سنة 1051هـ/1641م بمدينة تونس يقول عن سبب تأليفه: «ورآني – الشيخ الأجهوري– عازماً على الرجوع إلى بلاد المغرب التي جئنا منها لأداء الفرض، وزيارة أفضل من ظهر على وجه الأرض، والوقت ضايق، لأكتب له منها نسخة، كما كان في غرضي، أمرني أن أختصر منها نبذه لطيفة، ونذكر ما وقع لي من الكلام في الدين مع النصارى، وها أنا أشرع بعون **الله** أكتب في هذه الورقات ما وقع لي من المناظرات وكل مسألة ألهمني **الله** –تعالى– بالجواب عليها في الحين على البديهة، وأذكر نصوصها من الكتب ببرهانها، وإن كان لي وقت قبل الرحيل من مصر نكتب من الرحلة أيضاً ما وقع لي مع العلماء اليهود بالبلاد المذكورة،...وقد سميت الكتاب **بناصر الدين على القوم الكافرين**، وهو السيف الأشهر، على كل من كفر». وعن محتوى الكتاب : مقدمة وثلاثة عشر بابًا مختلفة المواضيع، ختمها بملحق سماه «مواهب الثواب»،

واتبع في تبويبه نفس مسار رحلته: بدأ بالهروب من غرناطة إلى مراكش ورحلته إلى فرنسا فهولندا ثم العودة إلى مراكش فالخروج نحو (سلا) ثم ركوب البحر بنية الحج، فالمرور في طريق العودة بمصر، وأخيراً الاستقرار في تونس. قال أفوقاي عن تقسيم كتابه: «جعلته ثلاثة عشر باباً: الباب الأول: في ذكر ما وقع لي بمدينة غرناطة مع القسيس الكبير،...الباب الثاني: في قدومنا إلى بلاد المسلمين،...الباب الثالث: في بلوغنا إلى مدينة مراكش،...الباب الرابع: في ركوبنا البحر المحيط وبلوغنا إلى فرنجة،... الباب الخامس: قدومنا إلى مدينة بريش،...الباب السادس: في قدومنا بكتب السلطان إلى قاضي الأندلس وقاضي القضاة في مدينة برضيوش،...الباب السابع: في رجوعنا إلى بريش وما اتفق لنا من المناظرات،... الباب الثامن: في قدومنا إلى الونة،....الباب التاسع: في قدومنا إلى مدينة برضيوش،..الباب العاشر: في مناظرات اليهود....،الباب الحادي عشر: في ذكر قدومنا إلى فلنضس،..الباب الثاني عشر: فيما اتفق لنا في مصر مع راهب...، الباب الثالث عشر: في ذكر ما أنعم **الله** –تعالى– به عليّ من فضله في بلاد الأندلس وغيرها»، ثم أخرَج المؤلفُ منها نسخة أخرى وضَع عليها زيادات عندما كان في تونس سنةَ 1051هـ/1641م، يقول: وقد قرأت هذا الكتاب بمصر المحروسة على العلامة الشيخ الأجهوري المرة الأولى في الرحلة المذكورة أول الكتاب، ثم مرة ثانية حين استخرجت هذا منها على أمره.

3– ترجمة كتاب في المدفعية من اللغة الإسبانية إلى اللغة العربية، وسمَّاه: العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل **الله** بالمدافع.

4– ترجمة الرسالة الزكوطية للإسرائيلي إبراهيم السلمنقي.

5– ترجمة كتاب في الطب اسمه «المستعيني».

بالإضافة إلى ترجمة بعض الكتب من العربية إلى الإسبانية بأمر من السلطات الدينية في غرناطة قبل هربه، ويوجد مخطوطة باللغة العربية نسخها

أفوقاي إلى إتيان هوبارت وفيها تعليق حول اللغة العربية المتحدثة في عصر المسيح، وقصيدة له بالإسبانية يعبر فيها عن شوقه لأحبته، خاصة زوجته التي وصفها بـ«اليمامة البيضاء».

إضافة إلى ذلك فقد كان لـ أفوقاي عددٌ من المؤلَّفات في موضوعات مختلفة تعرَّض أكثرُها لعوارض الضياع أو السرقة، حسبما أخبَرَ في مختَصَر الرحلة، وأحيانًا نجده يشير إلى عوارض النسيان التي قد تعتريه أثناءَ كتابته نحو قوله: «في كتاب نسيتُ اسم مؤلِّفه من كتب المسلمين طلَب مني واحد من فقهاء الأندلس أن أترجِمَه له بالعجمية من العربية بسلا بالمغرب»، ويقول: «والذي بقي في حفظي واحد منها، واكتفيتُ به عن غيره».

## (هـ) منهجية كتابه:

أوضَح أفوقاي أنه اعتَمَد على منهجية الاختصار في تأليفه لموضوع رحلته؛ حيث إنها في الأصل مقتَصِرة على المناظَرات الدينية التي وقَعَت له مع أصحاب الديانات عندما كان في مهمته السياسية بناءً على طلب شيخه الأجهوري كما رأينا، فكان حَذِرًا جِدًّا من الاستطراد أو الإطالة في أي موضوع أثناء كتابته لهذا المؤلَّف؛ كقوله: «وذكَر فيه من غش اليهود شيئًا كثيرًا وحكايات ممَّا وقَع للمسلمين معهم تركتُها للتطويل»، وكان يعتذر للقارئ عمَّا لا يستطيع إيرادَه أو الإسهاب فيه بالشكل المناسب توخِّيًا للإطالة: كقوله: «.. فأبينُ ما ظهَر من ذلك على قدر الاستطاعة، وأنا أمرني الشيخ الأثير الشهير بمصر وغيرها أن لا نكتب في المختَصَر إلَّا ما وقَع لي مع الكفار من الكلام».

ويبدو أن أفوقاي كان حريصًا كلَّ الحرص على أن يُضفِي على كتابه مزيدًا من الأهمية والشرعية عندما أخبر أنه بعدما انتهى منه في نسخته الأولى المسمَّاة «رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب» – التي فُقدت اليوم ولم تصلنا–

عرضه على شيخه الأجهوري، ثم عرَضَه عليه مرةً أخرى بعدَما قام باختصاره بأمره، وأخبرنا أنه طلَبَ من شيخه أن يُبدِي ملاحظاتِه عليه، وفي ذلك إشادة مبطَّنة منه بكتابه وهو يعلم ما يحظى به الشيخ الأجهوري من مكانة وسط العامة والخاصة فيقول: «وطلبتُ منه أن كلَّ ما يظهَر له أنه غير لائق أن يأمرني بإسقاطه، ونصحني ونفعني بعلمه، جزَاه **الله** خيرًا،..وقد زدت في هذا الكتاب بتونس ما ظهر لي أن فيه نفعاً».

## ثانياً - مصادر أفوقاي:

اتَّكأ أفوقاي على عدة مصادر، ذكرَها في ثنايا رحلته، وقد كانت بمثابة القاعدة التي انطلق منها في حواراته ومناظراته الدينية، وشكلت رافدًا مهمًّا في ثقافته وفِكْره، وأهلته ليكون محطَّ إعجاب وتقدير مِنْ قِبَل مَنْ التقى بهم خلال زيارته لفرنسا، وقد أجمَل أفوقاي وصفَ مَلَكَتِه العلمية عندما ذكَر أنه يمتلك مِنَ اللغات: «العربية، ولسان إشبانية، ولسان أهل برتغال، وكلام الفرنج نفهمه، ولكن ما نعرف نتكلم به»، وبذلك تهيَّأت له الأسبابُ للاطلاع على مصادر متنوعة في اللغة والفكر، منها المكتوبة، والشفهية، وفيما يلي نستعرضها حسبما يلي:

### (أ) المصادر المكتوبة:

ساعد أفوقاي على الاستفادة من الكتب المكتوبة باللغة العبرانية أنها كانت مترجمة إلى اللغة الأعجمية حسبما ذكر في مقدمة كتابه: «وقرأت التوراة التي هي أربعة وعشرون كتاباً: الخمسة الأوائل في الديانات، والباقي من الكتب في التاريخ، وجدتها مترجمة من العبراني إلى العجمي الذي نعرفه»، **وتعتبر**:

1 - **كتب الأديان الثلاثة** من أهم مصادره حيث إنه قائم على المناظرات والمجادلات الدينية، يقول: «طالعتُ كتبَ الأديان الثلاثة، حتى لم يبقَ للنفس والشيطان باب» ويأتي القرآن الكريم في مقدمة مصادره، حيث ضَمّن الرحلة

استشهادات قرآنية في عدة مواضع، أما الإنجيل والتوراة فتتضح الفائدةُ التي استقاها منهما في جميع مناظراته ومجادلاته الدينية خلال رحلته، وكثيرًا ما يُحيل على الإنجيل بعبارات تؤكِّد إلمامَه واطلاعَه التامَّ عليه؛ لدرجة أنه يستحضِر منه من الحجج ما غفل عنه النصارى، وكذلك التوراة خاصة كتاب بلبتق، وكتاب الجنشيش من كتب التوراة.

**2 - الكتب العامة:**

1- شرح الصغرى في التوحيد للسنوسي، ومن أمثلة الإفادة من هذا المصدر قوله: «وكنت نتردد في ذكر بعض الأمور، لَمَّا ذكَر السنوسي – نفع **الله** به – في شرح الصغرى في التوحيد – في باب ذكر **الله** – أن بعض مَنْ أنعَم **اللهُ** عليه – أنه – من الملازِمين لقول: لا إله **إلا الله**...».

2- كتاب الدُّرّ النظيم للواد ياشي والراجح من خلال إفادته منه أنه في طُرُق التشافي من الأمراض بالقرآن الكريم.

3- كتاب اليافعي وقال مُحِيلًا عليه: «قرأتُ في كتاب اليافعي، ... نفَع **اللهُ** به» وقد أفاد منه فيما يخص التضرع **لله** بأسمائه الحسنى، وفي نهاية نقلِه عن اليافعي ختَم بعبارة: «انتهى ما كتبنا عن اليافعي».

4- شرح على مختصر خليل، للفقيه الجليل أحمد بن أحمد بابا السوداني، وقال أن هذا المؤّلف معروف في مصر وتونس، كما ذكر مؤلف آخر له كتبه كأجوبة على أسئلة لأبي مَحَلي، ورداً على الشيخ العالمِ السنهوري (ت1015هـ – 1606م) إمام المالكية بمصر، يقولَ أفوقاي: «...والسؤولات في شأن طابة المسماة بالدخان، والعفيون، والمسكرات، والمخدرات، وذكر في عشبة الدخان أنها حلال لذاتها في كتابه».

5- كتاب المنن للولي عبد الوهاب الشعراوي، أورد عنه بعض قصص الصوفية.

6- كتاب الشيخ الفقيه الأكيحل الأندلسي، وقال عن كتابه الذي لم يذكر اسمَه: «كنتُ نتمنى قراءتَه فأعطاه لي الذي كان بيده، حتى إذا توفيتُ النظرَ فيه، وزدتُ منه في كتابي ناصر الدين في الباب الأول»، كما نقل عن الأُكيحل: «عقيدة تصفيون بن العطار في التوحيد»، و«بعض المسائل حول الكتب الرصاصية».

7- العلَّامة الإسكندر أحمد الفيلسوف في الدر بن وني، كتابه في الرد على النصارى، أورَد الحجري نقلًا نصيًّا عنه فقال: «وقال العلامة الإسكندر أحمد في تأليفه في الرد على النصارى: كلام **الله** لا ينحصر..، وختَمَه بقوله: انتهى».

8- كتاب: نزهة المشتاق في اختراع الآفاق للإدريسي، وكان يبحث فيه عن معلومة بطلب من النصارى؛ لأنه مكتوب باللغة العربية وهم لا يجيدونها؛ فاستعان به أثناء الترجمة، وقال: فقرأته كله ولم أجد فيه الاسم.

9- إحياء علوم الدين للغزالي، أخذ عنه بعض المسائل الفقهية.

10- معجم الصحاح، يقول: «واحتجنا كتاباً في اللغة إلى فهم ذلك، فأعطاني الجوهري في سفرين بخط أندلسي قديم».

11- السيف الممدود في الرد على اليهود لعبد الحق الإسلامي، أفاد منه خلال مناظراته مع اليهود.

كما سجَّل بعضَ الأبيات للقاضي عياض (ت544هـ/1149م)، يقول: «أقول في الجواب شعراً نسبه البعض للقاضي عياض»، ومن مصادره أيضاً المقري (ت1041هـ/1632م) حيث أشار إلى أشهر مؤلفاته، وهو: نفح الطيب من غصن

الأندلس الرطيب، وسماه الكتاب الجامع للتواريخ على بلاد الأندلس، نقل عنه شيئاً من جهاد المنصور بن أبي عامر (ت392هـ/1002م) ضد النصارى، ومشكاة المصابيح للتبريزي (ت1340/741م)، أورد عنه بعض أخبار الجهاد ضد النصارى وفضله، كما كان تاريخ ابن خلدون (ت808هـ/1405م) ضمن مصادره التي لم يستغن عنها في كتابته للرسالة التي وجهها من باريس للموريسكيين في القسطنطينية سنة 1021هـ/1612م، وقال عنه: «هو كاتب محترم جداً بين علماء شريعتنا»، وحدد الجزء الذي أفاد منه حيث يذكر أنه في الكتاب الضخم، الثاني من الستة التي أنجزها، ويورد عنه بعض الأخبار حول سيطرة المسلمين على حدود البحر المتوسط.

**مصادر أعجمية منها:**

يأتي أهم مصدر تاريخي من مصادره الأعجمية:

1- نسخة من نص قرار إبعاد الموريسكيين وصله في مراكش لتعريبه.

2- كتاب مواهب الثواب للصالحة مريم عليها السلام، وقد أثنى عليه بقوله: كتاب يُرجَى فيه الخيرُ، نضعه في آخر كتابنا هذا إن شاء **الله**، وقد أورد عنه نقولات كثيرة ختم بها كتابه.

3- كتاب بَالِرا الإشبيلي، يقول: «وجدت بتونس كتابًا كبيرًا مكتوبًا بالقالب بالعجمية مترجم من بَالِرا الإشبيلي مثل الذي قرأت بفرنصة- فرنسا- فيه جميع كتب التوراة، والزبور، والإنجيل وزدت منه في كتابي قصت - قصة- بخت نصر، وما فسر النبي دانيال عليه السلام، وغير ذلك».

4- كتاب تصفيون ابن العطار في الذات الكريمة.

5- كتاب أعجمي لبدر طشابر، نصراني في الأندلس، تحدث عن رحلته إلى أمريكا اللاتينية.

6- رسالة زيج زكوط الإسرائيلي إبراهيم السلمنقي.

7- كتاب ابن الحاج وسمَّاه تمزج.

وذكر عدة مصادر دون توضيح أسماء الكتب مثل قوله: «قال كُرْتِشْ المنجم في كتابه، وسمران الإشبيلي، وقد عرفتُه في المدينة إشبيلية اسمًا وعينًا، وأيضًا جِبِشْ ذكَر كل واحد في كتابه ما زاده وما نقص كل واحد».

## (ب) مصادره الشفهية:

1- الشيخ العلامة علي الأجهوري (1066هـ/1656م)، كثيراً ما يورد أقواله وحديثه معه، مثل قوله: «وتكلمتُ مع العلامة الشيخ علي الأجهوري بذلك وقال لي».

2- العلَّامة الفقيه قاضي المسلمين سيدي عيسى بن عبد الرحمن السكتي من ذلك قوله: «وقد ذكَر لي بمراكش العلَّامة الفقيه».

3- أحمد بن الحاج أحمد التواني، وقال مُحِيلًا عليه: «قال لي بمراكش شيخُنا الخير الإمام الفقيه، سيدي أحمد بن الحاج التواني: إن فقيهًا من المسلمين كان أسيرًا عند كافر نصراني...».

4- الأُكيحل الأندلسي، كان يذكر رواياته وإفاداته منه باستمرار منها قوله: «ذكر لي الأكيحل»، و«في كتاب آخر حكمة ذكرها لي الأُكيحل رحمه الله».

5- الحاج يوسف الحكيم الأندلسي، روى عنه بعضَ المعلومات المتعلقة بعدد الأسرى المسلمين وجنسهم بقوله: «قال لي الحاج يوسف الحكيم».

6- فارس ابن العلج، وقال في ذلك: «وأيضًا ذكَر الكلامَ بنفسه قائدٌ بمدينة مراكش يسمَّى بفارس بن العلج، وكان من أهل الدين، وكان عنده الكلام محفوظًا ومكتوبًا».

7- الفقيه الإمام محمد بن عبدالرفيع الأندلسي (ت1052هـ/1642م)، قال محيلاً إليه ومحدداً مكان تلقيه الرواية الشفهية عنه: «وقد قال لي بتونس حرسها الله الفقيه الإمام محمد»، أورد عنه جملة من أسماء النبي محمد - ﷺ -.

ويلاحَظ فيما سبَق حرصَه أن تكون مصادره موثوقة أمام القارئ، عندما جمَع أكثرَ من مصدر شفهيّ في خبر واحد ثم انتهى بقوله: وقرأتُه والذي قال لي كان مثل ما كان مكتوبًا من كتاب الأكيحل.

## (ج) مصادر مجهولة:

أورد أفوقاي بعض المصادر المجهولة كقوله: «وقال بعض المفسرين للقرآن الكريم العزين»، وقوله: «وكان قد ذكَر لي رجلٌ من علماء النصارى في مدينة مراكش وكان راهبًا ثم أسلَم»، و«ذكَر لي بعضُ الهنديين في جامع الأزهر بمصر، وذكَر لي رجل أندلسي بمكة المشرَّفَة»، وقوله: «حكى لي بعض أصحابي عن بعض مشايخه». وكان عندما يسمع بمعلومة شفاهةً يسعى لتوثيقها من أكثر من مصدر، ومن ذلك قوله: «وكنتُ أسمع أن واحدًا من البابا كان امرأة زانية وحملت وفضحها اللهُ، ولم نتحقَّق من ذلك إلى أن طالعتُ كتابًا قديمًا مكتوبًا بالقالب وصحح ذلك، ثم كتابًا آخَر وذكر مؤلفه أنه طالع اثني عشر كتابًا من كتبهم، وذكَر كل كتاب باسم مؤلِّفه، وتركتُ أسماء الكتب للاختصار، والذي ذكروا فيما قرأت...»، وقوله: «سمعت ببلاد الأندلس قبل خروجي منها مرارًا القسيسين والرهبان...وقد تحقَّقْنا في ذلك من كتبهم».

# المبحث الثاني

## دور الرحلة التوثيقي لتاريخ الحقبة الأخيرة في الأندلس

تعتبر رحلة الشهاب أهم وثيقة تاريخية أرخت لحدث إجلاء الموريسكيين وأحوالهم خلال الفترات الأخيرة من الوجود الإسلامي بالأندلس كُتبت بأيدي موريسكي، وسوف نسلط الضوء على الناحية السياسية، والاجتماعية، والفكرية التي وردت في رحلته من خلال ما يأتي:

### أولاً – التاريخ السياسي في رحلة أفوقاي (أفوقاي مؤرِّخًا):

بعد القضاء على الحكم الإسلامي في الأندلس إثر سقوط غرناطة 897هـ/1492م، عانى المسلمون من ويلات ملاحَقة محاكم التفتيش والتعذيب والحرق، وقد وثَّقَت لنا رحلة أفوقاي الوضع السياسي خلال تلك الفترة، التي بدأ ينحسر فيها الوجود الإسلامي بالأندلس تدريجيًّا بعدما هاجَر عددٌ كبيرٌ من مسلمي الأندلس خارجها متجهين للبلاد الإسلامية المجاورة، واضطر بعضهم ممَّن لم يتسنَ له الهجرة إلى التظاهر باعتناق النصرانية والتعايش في المجتمع النصراني، مرتدين زيَّهم وممارِسين لطباعهم متخفينَ أغلبَ الأحيان عن أعينهم هربًا وخوفًا من صنوف الاضطهاد والأذى الذي يصل في أحيان كثيرة إلى الحرق والقتل، فوضح أفوقاي أن هناك فئة من النصارى تسمَّى «الحراقين» مهمتهم إحراق مَنْ تبدو عليه بوادر الإسلام أو يقرأ كتب المسلمين.

وأفوقاي من المسلمين الذين قُدِّرَ لهم أن يرزخوا تحت الحكم النصراني في بلاد الأندلس، ويُخفُوا إسلامَهم مضطرين، عاش مندمجًا في المجتمع النصراني، وكان يحدث نفسه منذ وقت مبكر من عمره بالهجرة والاستقرار في بلد إسلاميّ أكثر أمانًا من بلاد الأندلس، إلى أن استطاع ذلك عن طريق

الحيلة سنة 1007هـ/1599م، عندما سافَر متنكِّرًا في رحلة مليئة بالمغامرة برفقة صاحب له على ظهر سفينة انطلقت من ميناء شنت مريا، متجهةً إلى ميناء البريجة، وقد بلَغ مِنْ تنكُّره في زيهم، واندماجه بين النصارى المسافرين درجةً أدت إلى ألّا يشكَّ أحدٌ منهم في أمره، وقد وصَف حاله بقوله: ولما أن جئت إلى البلاد التي هي على حاشية البحر حيث هو الحر الشديد وجلستُ بينهم فلم يشكُّوا فيَّ؛ بما رأوا من الكلام والحال والكتابة، وجئتُ من بينهم لبلاد المسلمين»، وفي البريجة أقام على مضض يترقَّب الفرصةَ للهرب هو وصاحبه إلى بلاد المسلمين؛ حيث لا سلطانَ للنصارى عليهم، وقد سرَد تلك المغامرةَ وكيف سنَحَت لهما الفرصةُ في خبر يطول إلى أن وصلا إلى مدينة أزمور، ويتضح تضييق النصارى على المسلمين في الدخول والخروج من المناطق الساحلية، فيذكر أفوقاي أن البلاد التي على حاشية البحر من بلاد الأندلس كان «النصارى فيها من الحرص والبحث في مَنْ يرد عليها من الغرب شيئًا كثيرًا، كل ذلك؛ لئلا يذهب أحد أو يجوز عليهم إلى بلاد المسلمين».

ويشير فرح أفوقاي أول وصوله إلى أزمور، وخلاصه من الاضطهاد الذي لاقاه في بلاد الأندلس، ثم تشبيهه لمعاناته بين النصارى وتعقبهم له وأحداث رحلته في الهرب من بطشهم المليئة بالمغامرة والخوف والتعب بأهوال يوم القيامة، ووصوله إلى المسلمين بالدخول في الجنة، - يشير ذلك - إلى كمية الأذى والتحجير على المسلمين في الأندلس، فيذكر أنهم منعوهم حتى في الأماكن العامة من النطق بذكر الله والشهادتين جَهْرًا، ومارس النصارى عمليات التنصير للمسلمين فأدخلوهم كرهاً في دينهم ما اضطر المسلمين أن يعتنقوا دينين: «دين النصارى جهراً، ودين المسلمين في خفاء من الناس، وإذا ظهر على أحد شيء من عمل المسلمين يحكمون فيه الكفار الحكم القوي: ويحرقون بعضهم، كما شاهدت حالهم أكثر من عشرين سنة قبل خروجي منها».

وبلغت تلك التعنيفات للمسلمين حَدًّا جعلت قاضي إشبيلية، القسيس النصراني يتعاطف مع مجموعة منهم قَبَضَ عليهم النصارى في إشبيلية خلال عمليات الاعتقالات والاضطهادات ووصف القاضي لأفوقاي كيف وقَف بجانبهم وكان عددهم مائة وأربعين رجلًا، فقتلوهم واستحوذوا على أموالهم، كما أشار في رحلته إلى ثورة البشرات وكيف استطاع أخو الملك الإسباني قمع المسلمين والقبض عليهم، ووثق أفوقاي أيضًا عددَ الأسرى من المسلمين في مالطة، فذكَر أنهم خمسة آلاف وخمسمائة، ومنهم خمسون أندلسيًّا، والباقي ترك وأولاد عرب، و حكى بكل ألم عن عدمَ وفاء النصارى في بلاد الأندلس بالوعود التي أعطوها للمسلمين، حيث نكثوها واستحوذوا على ممتلكاتهم غير مكتفينَ بذلك، بل أخذوا أطفالَهم دون سن العاشرة، وفي تفسير يدل على حسه التاريخي والقدرة على التحليل والربط، نجده يُشير إلى أن عزوف الرهبان لدى النصارى عن الزواج نتَج عنه قلةُ عدد النصارى عكسَ المسلمين الذين يعمرون الأرض بالخلف؛ لذا عمدوا إلى أسر أعداد من المسلمين ومنهم الأطفال، حتى يضعونهم في صفوفهم، وها هو يروي مأساة الاستحواذ على أطفال المسلمين بالقوة والجبروت، ويتمنى لو كان موجوداً ليقدم المساعدة فيما سماه بـ «الحدث الكارثي القاسي والجسيم الذي يحدث في إسبانيا على حدود سبتة وطنجة، بأن كل الأبناء يأخذونهم من آبائهم، حتى لو تجاوزوا عشر السنوات، كذلك في إشبيلية أخذوا أبناء الأشخاص الذين خرجوا في أربع عشرة سفينة، وكانت الأصوات التي تصدرها الأمهات عالية جداً، فكان الإشبيليون يقولون بأنه يوم الحساب، البعض من هؤلاء الأشخاص قدموا إلى المغرب، فلم تستطع الأمهات تمييزهم بأي طريقة، ففقد بعضهن عقولهن»، ولم يقف أفوقاي صامتاً أمام الحوادث التاريخية التي وصلت إلى مسامعه، فسعى للحصول على توكيل منهن لإيصال معاناتهن ومصابهن في أولادهن، فقام بمراسلة

سفير إسبانيا في باريس بهذا الشأن، ويقول في ذلك: «وقال لي من الضروري تقديم اسم كل الأمهات، وهن يطالبن، وهكذا طالبوا هناك ببعض الأمور حول هذا الموضوع».

هذا، وأخبرنا أفوقاي عن عدم ثقة المسلمين في ملوك النصارى، وليس أدلَّ مِنْ نُكْثِهم العهد والميثاق إلا نكثهم ميثاق غرناطة وتهجير المسلمين، كما أضاف من الأمثلة «غدر ملك إشبانية –الأندلس– مع الحاكم المسلم سلطان الهنود المغربية بمدينة مِيشِيقُ المسمَّى مُتَشُمَه المقتول غدرًا».

وكان النصارى يطلقون اسم تركي على الموريسكي، فعندما حضر أفوقاي لملاقاة أحد المسؤولين أثناء تأديته واجبه السفاري في فرنسا يقول: «حتى إذا بلغنا دار منزله التي ننزل فيها للمبيت، فيكلمون رب الدار، يقولون: هذا رجل تركي – لأن في بلاد الإفرنج وفي الكثير من سلطانات النصارى لا يسمون إلا تركي»، وقد أحسنوا وفادته وأظهروا الحفاوة به حسبما ذكر.

ومن التوثيقات المهمة في الرحلة: ترجمته لصك ترحيل الموريسكيين من إسبانيا الذي أصدره فيليب الثالث سنة 1018هـ/1609م، وما يتضمنه من معلومات تاريخية مهمة حول قرار الترحيل ووضع الموريسكيين المهجرين، وقد وصف أفوقاي حال من استقر منهم بتونس واطلع على أحوالهم عندما انتقل إليها، واتصل ببعض الأعيان الذين عايشوا وصولهم هناك، يقول: «وذكر لي من جاء بعدهم رجل أندلسي من بلاد الثغر اسمه قلش: أن كتاب الديوان السلطاني بمذريل قالوا: بلغ نهاية جميع الأندلس بصغارهم لثمان مائة ألف مخلوق أكثرهم خرجوا بتونس»، وفي تونس بدا ماثلاً للعيان من خلال رسائل أفوقاي إعجابه بواليها التركي أسطا مراد وما قدمه للموريسكيين وبمنجزاته وسياسته، وسجل مشاهداته في تونس.

هذا، وأخبر أفوقاي أن مدينة شان جوان ذلز – سان جون دي لوز الفرنسية (Saint Jean de Luz) في أقصى الحدود الغربية الفرنسية الإسبانية هي مركز تجمع مهم للموريسكيين المهجرين حيث كان فيها «آخر من خرج من الأندلس»، وقد وجه أفوقاي في رحلته المليئة بالمناظرات الجدلية رسالة لسلاطين المسلمين بعدم ترك أي قسيس أو راهب في بلاد المسلمين حتى وإن كان أسيراً، لأنهم «يحتالون على أكثر من يرجع مسلماً من النصارى، ليرتد في خفاء عن دين الإسلام وأن يكون عدواً للمسلمين، وهذه نصيحة مني لهم»، ثم يؤكد ذلك بقوله: «وما قلت فيهم صحيح لا شك فيه»، وهو ما يدل على معايشته ارتداد بعض الموريسكيين وخروجهم لبلاد النصارى.

ودائماً كان الأمل يحدو صاحِبَنا أفوقاي بعودة الأندلس وهذا ما يتجلى في كل مرة أثناءَ كتابته سطور رحلته، وتمنى أن يخرج سلطان مراكش في سفن عظيمة بمعاونة الهولنديين ويستعيدوا الأندلس، لكنه كان يضع مزيدًا من الأمل في قوة الدولة العثمانية وقدرتها على التصدي للنصارى، وهو هنا يوثِّق أمله في القوةَ التي يتطلع أن تكون المهيمنة على العالَم الإسلامي المتمثِّلة فيها، ويقول في ذلك: «وكان في الجفر مكتوب يقول: » من أقصى المغرب ماء البحر يأتي سريعا لقوام إلى بلاد النصارى وتصل الهملى– الحملة– إلى رومة»، وذكر مما ينزل بالنصارى من الشر والخسران شيئًا كثيرًا، ... إذ يأتي الوقت بالانفصال، مدينة البحر يملكها الشرقي بلا محال،... وأن الشرقي هو سلطان المشرق، وأنه سلطان الترك، نصره الله، قال لي القسيسُ: بأي مدينة تسمَّى بالعربية مدينة البحر، قلتُ: لا أدري، ولكن يظهر لي أنها البندقية»، وذكر حوارا بينه وبين أحدهم حول أمنية استعادة بلاد الأندلس متأملين في السلطان التركي فقال له محاوره: «لو اتفقنا مع كبراء الأندلس ونبعث لهم عمارة من سفن كبيرة ليركبوا فيها مع جنودنا نأخذ إشبانية، قلت: لا يمكن للأندلس أن

يتفقوا مع هذا إلا بإذن السلاطين الذين خرجوا ببلادهم وسكنوا بها، قال لو كنا نتفق مع سلطان مراكش ونبعث للسيد الكبير – عنى السلطان الأعظم سلطان الإسلام والدين– ونتفق جميعاً على سلطان إشبانية، ونظفر به ونأخذ بلاده، قلت له: هذا أمر عظيم لو حصل هذا الاتفاق، وفي تحصيله شك، وأما لو حصل يأخذون بلاد الأندلس أعادها الله إلى الإسلام». كما كان يتحدث عنهم بعبارات العظمة والتمكن والقوة بما يوحي بإعجابه بهم فكان يسمي القسطنطينيةَ بـ العظمى، والسلاطين الفضلاء العظماء العثمانيين التركيين، وأشار إلى أن الموريسكيين الذين توجهوا للقسطنطينية وأنحاء من بلاد الشام، فسيعاملون بعدل أكثر في ظل حكم أفضل بسبب وجود نفوذ مباشر للسلطان العثماني ولقبه بإمبراطور الشرق، بالإضافة لأنهم سينعمون بطقس أكثر برودة من طقس إفريقيا. ومن الضروري هنا الوقوف عند ما ذكره الأستاذ حسام الدين شاشية محقق الرحلة أن أفوقاي في رسالته التي أرسلها من فرنسا للموريسكيين حاول «نفي أن يكون غير مُقر أو معترف بالخلافة العثمانية على المسلمين، خصوصاً أنّه الذي خدم سنين عديدة سلالة أخرى تدعي الأحقية بالخلافة، أي الأشراف السعديين»، إلا أننا نرى عبارات الإجلال للدولة العثمانية والسلطان العثماني واضحة وطاغية على كتاباته، ولم يكن مضطراً لمحاولة نفي ذلك، وجميع ما أورده من عبارات عن الدولة العثمانية يؤكد عشمه الكبير وآماله المعلقة بها، وذلك لا يتعارض مع أمله في سلطان مراكش، لكن الفوضى التي عاشتها بلاد المغرب بعد وفاة المنصور الذهبي التي أرَّخها في مولد النبي– ﷺ – من سنة اثنتي عشرة وألف (ت1012هـ/1603م) وما أعقبها من الحوادث والحروب المستمرة بين أولاده «فقام القوام والهرج في المغرب كله»، صاحب ذلك عدم استقرار الوضع السياسي والفوضى أشار إليها بقوله: « أشبع الحزن قلبي وأنا أرى الحرب الأهلية والفرقة التي حصلت بعد موت مولاي أحمد

الذي حكم منذ الحرب التي خسرها سيباستيان ملك البرتغال، والتي كانت منذ خمس وعشرين سنة، ترك ثلاثة أبناء دمروا المملكة تماماً، ودارت بينهم ست عشرة معركة في غضون سبعة أعوام، مات خلالها أكثر من ستين ألف رجل، وكانت الحروب الأهلية متعددة، مما جعل الناس غير قادرين على الاشتغال في حقولهم، فكانت النتيجة مجاعة دامت سنوات عديدة، مات فيها من الجوع عدد كبير من الناس»، كل ذلك كان له دور كبير في تعشم أفوقاي أكثر في الدولة العثمانية لنصرة المسلمين، واستعادة بلاد الأندلس.

وفي ذات السياق تعرضت البلاد قبل وفاة المنصور الذهبي إلى وباءعظيم اجتاح البلاد خلال سنة (1007هـ/1598م)، اضطر على إثره السلطان أحمد المنصور الذهبي (ت1012هـ/1603م) إلى اتخاذ مخيم يبعد عن مراكش ستة أميال، يقيم فيه لحين انجلاء الوباء وكشف الغمة، وكان ذلك خلال ثاني أيام عيد الأضحى بمعية تسعة وعشرين ألف فارسٍ مع جند كثير، وكان للسلطان يوم يستقبل فيه الناس يسمى يوم الديوان، وهو ما أشار إليه أفوقاي في قوله: «وأنعم **الله** علينا وأُذن لنا في الدخول إلى حضرته في يوم الديوان»، وبالطبع كان لذلك الوباء أثره الاقتصادي على البلاد والعباد.

ووجه أفوقاي رسالة وهو في باريس للموريسكيين الموجودين في القسطنطينية شرح لهم وضع إخوانهم الموريسكيين في المغرب في ظل الأوضاع المضطربة والأيام التي يقضونها وقد أثقلتها الفتن والحروب والكوارث ما جرف البلاد إلى مجاعات مهلكة استمرت لسنوات، وقد بلغه خبرها وهو في فرنسا، يقول: «بحيث إنه ونحن في فرنسا قيل لي أنهم في المغرب انتهى كبار المملكة أن ينصبوا عليهم رجلاً عارفاً وبصحة جيدة، الأندلسيون المساكين الذين كانوا يسكنون المملكة منذ القديم وأولئك الذين أُمروا بمغادرة إسبانيا أغلبهم ماتوا وبقي الحي محشواً بالأيتام والنساء، والواضح أن الموريسكيين غير مرحب بهم

في بعض بلاد المغرب حيث كانوا محط شبهة في دينهم وولائهم؛ لذا باتوا كالغرباء داخل وخارج إسبانيا، ويؤيد ذلك قول أفوقاي: «...رغبة حضرتكم معرفة الأحداث المتعلقة بهذه المأساة الجديدة وعملية التهجير، وما يحدث في إسبانيا التي تسمى هنا هكذا، أقول سادتي بأن أتباعكم لن يكونوا سعداء حتى في أحسن بقعة في الموريسما – يقصد بلاد المسلمين – فالاعتقاد أنه سيمر على الغرباء سنوات قبل أن يعاملوا جيداً حتى لو كانوا في أفضل مكان»، وقد شرح في هذه الرسالة حالهم في البلاد التي هاجروا إليها، وكيف كان قلقاً على أوضاعهم، فأما الذين هاجروا إلى إفريقيا: من المغرب إلى تونس فهي منطقة جيدة لهم لكنه قلق عليهم اقتصادياً وسياسياً، أما اقتصادياً فإنه في هذا المكان لن يتوافر ما يكفي من المياه العذبة للفقراء، وأما سياسياً فـ «لأنّ لديهم آفتين: الأولى هي الأعراب والأخرى هي عدم تسامح العلوج –النصارى الذين اعتنقوا الإسلام– والأتراك، نفس الأمر ينسحب على الجزائر وتلمسان، أما فيما يتعلق بأولئك الذين في مملكة فاس ومراكش، فقد خرج إلى تطوان والموانئ المحيطة نحو ستين ألف شخص، وإلى مراكش وعانوا في هاتين المملكتين من نهب الأعراب والحروب الأهلية، وفي كل الأحوال حالتهم أفضل لأنهم لم يكونوا هدفاً لمحاكم التفتيش.

وثَّق أفوقاي الهجرات الإسلامية المتدفقة من الأندلس إلى مراكش، وكيف تعرَّض أصحابُها إلى السرقة والنهب من النصارى بعد صدور قرار الترحيل والإبعاد مِنْ قِبَل فيليب الثالث سنةَ 1018هـ/1609م. وقد شاركت السفن الفرنسية في ترحيل أولئك المبعدين إلى سواحل البلاد الإسلامية، وتعرُّضهم للنهب مِنْ قِبَل البحارة الفرنسيين ويُنزلونهم إلى البحر بعد تجريدهم من مالهم ومتاعهم، فأُنزل منهم جماعات إلى السواحل المغربية فتلقاهم السكان هناك بالإحسان إليهم، ثم واصَلُوا مسيرهم إلى مراكش؛ حيث بلاط الملوك السعديين،

وقد تمكَّنوا من وصف معاناتهم لهم قبل الترحيل وما لاقوه على ظهر السفن الفرنسية بعد الترحيل، ويُخبرنا أفوقاي أن عملية الترحيل استمرَّت إلى سنة 1020هـ/1611م، وقد تجاوَز عددُ المهجرين ثمانمائة ألف أكثرهم نزَحُوا إلى تونس.

هذا، وقد صَحِبَ أفوقاي نفرٌ منهم إلى فرنسا عندما طالبوا بحقوقهم المنهوبة، وما تعرضوا له من سلب بعد أن تم اختياره لهذه المهمة، وقد زوَّدَه السلطان زيدان السعدي بكتاب يتضمَّن توصيةً لهم إلى ملك فرنسا ومحاكمها وقضاتها، كما وصلت أفوقاي رسائل من السلطان التركي أحمد الأول (982–1026هـ/ 1603 – 1617م) يوصي فيها على المدجنين بأن يعاملوا المعاملة الجيدة، يقول: «ولما صح عند سلطان إسطنبول بخروج الأندلس الذين يسمونهم ببلاد الترك بمدجنين كتب كتابه السني إلى سلطان فرنجة بالوصية عليهم، ونفع ذلك الكتاب نفعًا عظيمًا»، وقد استشعر أفوقاي المسؤولية التامة تجاه الموريسكيين وتبنى إيصال صوتهم ومعاناتهم والدفاع عنهم وسماهم «أُمة في خضم العاصفة، مسحوقة في هذه الأزمان».

والواضح أن عمليات القرصنة واختطاف البشر منتشرة؛ لذا ظهرت هذه الرسائل التي توصي بأن لا يتعرض أحد للمسلمين في طريق هجرتهم أو سفرهم، ويؤكد ذلك أيضاً لقاء أفوقاي بامرأتين تركيتين في فرنسا عندما كان في باريس «إحداهما عجوز، والأخرى نحو الأربعين سنة، وكانت مشتغلة برقم المسائل العجيبة للسلطنة، وكانت النساء جميعًا تتعجب من حُسْن شغلها، وعُرفها، وكانت تأخذ من عند السلطانة كلَّ يوم ريالًا كبيرًا، وسألتها عن السبب الذي جاءت من بلادها إلى بلاد الإفرنج، قالت: كنا في البحر قاصدين الحج، وأَخَذَنا النصارى وأَتَوْا بنا إلى البندقية، وكتَب رسول سلطان الفرنجة وأعلم السلطانةَ بشغلنا، وبعثَتْ له أن يبعَثَنا إليها، ثم إن السلطانة ونساء الأكابر

دَعَوْها إلى دينهم ودخلَت فيه»؛ مما يدل على انتشار عمليات التنصير، والسعي للاستفادة من الخبرات والعلوم والمعارف الإسلامية.

وأورد أفوقاي جملة من عادات النصارى منها: «أن من يُقتل على دينه من القسيسين يُثبِتون اسمَه مع الصالحين ويُعتَبر من الشهداء، ويشتهر موضع قتله للناس ليُصبِح مزارًا تزوره الناس».

وفي موضع آخر أيضًا ذكَر شيئًا من عادات ملوك النصارى يقول: «... وأعطاني نسخةً، ثم قال لي: تمنَّ عليَّ، معنى هذا القول: اطلُبْ منِّي ما شئتَ: أنهم يعطونه ما يطلب منهم، ولا يقولون ذلك إلا نادرًا لمن رَضُوا عنه عامةَ الرضا»، وقال: «ورأيتُ تحت إبطها كتابًا كما هي من عادة بنات التجار والأكابر من الفرنج».

كما ذكَر بعضًا من عاداتهم في العبادات وقراءة الإنجيل، ومن ذلك قوله: «قسَّمُوا الإنجيل كله ثلاثمائة وخمسة وستين جزءًا، لكل يوم من السنة جزء،... وعند قراءته... تكون جميع الناس قائمين عرياني الرؤوس...»، وكان شاهد عيان على ممارَسة بعض تلك العادات فقال: «وقد ذكرتُ هذا كلَّه وشاهَدْتُه»، وذكَر أن من عادة النصارى أن لا يغلقوا دكاكينهم للبيع والشراء «إلى أن يجوز وقتُ العِشاء الآخرة».

هذا، وقدم لنا أفوقاي أخبارًا تاريخية مهمة، تتعلق بالعلاقات القائمة بين هولندا – فلنضس – والعالَم العربي، خاصةً بلاد المغرب، وكان السبب في تقارُب تلك العلاقات ذلك العدو المشترَك بين البلدين آنذاك؛ وهو إسبانيا الكاثوليكية، التي تعقَّبَت المسلمين واضطهدتهم، وآذت مَنْ بقي منهم، وفي ذات الوقت كانت في حرب مع الهولنديين، وقد تألم أفوقاي على ما يفعله أولئك النصارى في الأندلس بالمسلمين: «ولَمَّا رأيتُ وتحققتُ من عمل الفرنج

البحرية مع المسلمين قلتُ: لمَ نولي إلى بلادنا في سننهم بل نمشي إلى فلنضس -هولندا- لأنهم لا يضرونَ المسلمين، بل يُحسِنون إليهم»، وهو بالفعل غيَّر مسارَ رحلته؛ خوفًا من أذى النصارى فاتَّجَه إلى هولندا، وكان أفوقاي أول سفير مغربي يصل إليها، وكان لسفارته تلك دورٌ كبيرٌ في تدشين العلاقات القائمة بين الهولنديين الذين وصلوا إلى شاطئ شمال أفريقيا أواخرَ القرن العاشر ومطلعَ القرن الحادي عشر الهجري/ السادس عشر وبدايات القرن السابع عشر الميلادي – وبين المغرب، حيث تم توقيع اتفاقية بعد تلك السفارة بعام في مدينة الهاية -لاهاي- سنةَ 1018هـ/1610م، وقد تم بموجبه ضمانُ حرية مِلاحة السفن التجارية والحربية الهولندية في الموانئ المغربية مقابلَ السماح للسفن المغربية بالإبحار في الموانئ الهولندية، وقد تزامنت زيارةُ أفوقاي لهولندا مع حركة الإصلاح الديني التي شهدتها وانتشرت في ذلك الوقت، وخلال هذه الزيارة التقى بالعالم مارتن لوثر، والعالم جون كالفن، يقول أفوقاي: «ظهَر في تلك البلاد رجلٌ عالمٌ عندهم يسمَّى بُلطري، وعالم آخر يسمى بقلبن، وكتَب كلٌّ واحدٍ منهما ما ظهَر له في دين النصارى من التحريف والخروج عن دين سيدنا عيسى والإنجيل، وأن البابا في رومة يظلون الناس بعبادة الأصنام، ودخل في هذا المذهب جميعُ أهل فلنضس» مشيرًا إلى اعتناق أغلب الهولنديين البروتستانية.

وفي أخبار زيارته إلى الهاية -لاهاي- يقول: «ثم مشينا من مدينة ليدا -ليدن- إلى مدينة الهاية- لاهاي- فيها دار أميرهم، والديوان، والتقيتُ هنالك برسول الأمير، كنتُ عرفتُه بمراكش، وكان شاكرًا إلي كُثر على ما وقفتُ معه في سجنه حتى خلصته منه»، وذكر أفوقاي أن الهولنديين حرروا أكثر من ثلاثمائة من المسلمين ممن احتجزهم الإسبان في السفن، وأرسلوهم في سفينة عظيمة إلى المغرب كتقوية للعلاقات الهولندية المغربية، وكان ذلك سنةَ 1014هـ/1606م.

وفي لهاية –لاهاي– أيضاً التقى برجل عرفَه حيث كان قد أُرسل كسفير مع هذه السفينة إلى المغرب، وأقام بالمغرب سنتين زمنَ الهرج والمرج بعد وفاة السلطان المنصور، وأول عهد السلطان زيدان سجن هذا الرسول «وبعد أن جاز زمن على الرسول في سجنه، بلغني الخبر وتذكرتُ الخيرَ الذين عملوا للمسلمين حين بعثوهم هدية إلى ملتهم وقفتُ وتدبرتُ، وكلمتُ المفتي العالم الشهير محمداً أبا عبد الله وكلَّم السلطان وانطلق من السجن»، فلما التقاه هذا الرسولُ في هولندا يقول: إنه احتفى به وحمله عند الأمير مَوْرِيسُي، الذي أخذ بيده وأجلسه معه وتوثقت العلاقة، يقول: «وزرته أربعَ مرات».

هذا وتحدَّث أفوقاي عن يهود الأندلس، وأن أكثرهم برتغال، كانوا يُظهِرون النصرانيةَ ويُخفون يهوديتَهم، ويداخلون النصارى ويمتزجون بهم أكثرَ من المسلمين، ويقرأون العلوم بالأعجمية ولا يتكلمون إلا بها، وقد تمكَّنوا من الوصول إلى بعض المراتب عن طريق العلم، وكيف استغلوا السلطةَ التي في أيديهم على الناس في الضرر سواء على النصارى أو المسلمين، «حتى إن الناس إذا لحقهم ضررٌ ممَّن يحكم يبحثون عن أصله، ويجدونه يهوديًّا مخفيًّا أو من سلالتهم؛.. لأنهم من أجل الرئاسة والطمع كانوا يختلطون في التزويج مع النصارى، ويعطون بناتِهم ويتزوجون منهم». ووصفهم بالكِبْر، وحدد يهود فرنجة وفلنضس، «وفيها هم أشهر مما هم ببلاد الفرنج؛ لأن لهم الإذن في نقل السلاح، واللباس مثل أهل فلنضس»، فكان مهمًا لديه أن يعرف صفات وتاريخ خصمه كي يعينه ذلك على معرفة الطريقة المناسبة للرد عليه والتعامل معه، يقول: «التقيتُ في مدينة برضيوش بفرنجة ببعض علمائهم –اليهود– وبلغوا في مدح دينهم حتى رأيتُ أنه لا يكفيني في الرد عليهم من كتبنا إلا إذا كان من كتبهم فهو أقوى وأبلغ»، وإذا ما عرفنا أن كتب التوراة ذكر منها أفوقاي أربعة وعشرين كتابًا اطَّلع عليها، ولم يرَ في جميعها ذكر جنة ولا نار ولا عذاب

الآخرة، بل فيها المدح التام لبني إسرائيل، فإننا لا نستغرب الصفة التي ذكرها أفوقاي عنهم أعلاه بالكِبْر والغطرسة واضطهاد الشعوب، كما حذَّر المسلمين من الوثوق بهم؛ لانتفاء صفة الأمان لهم، وكَرِهَ أن يتعاملوا معهم حتى وإن كان طبيبًا، أو صيدلانيًّا يؤخذ منه الدواء.

وقد أورد أفوقاي بعض الأخبار والتنبؤات التاريخية لمستقبل العالَم، وما سيجدُّ فيه كعادة المؤرخين والمؤلفين الذين لهم اهتمام بهذا الشأن، ومن ذلك قوله: «وقول النبي دانيال–عليه السلام– أن في أيام السلاطين المتأخرين يُقيم **الله** سلطنة لا تنكسر، ولا تفنى أبدًا، وهي التي تكسر وتفني جميع هذه السلطانات، وهي تدوم إلى الأبد». ويقول والأمل يحدوه بعودة بلاد الأندلس للمسلمين مشيراً لكلام العلماء الكبار والمنجمين بأنه: «سيأتي زمان تعود فيه مرة أخرى للمؤمنين، وفي كتاب عربي قرأته في إسبانيا قبل قدومي منها، يقول بأن المسلمين سيخلون إسبانيا مرة أخرى، من أربع جهات...وسيسيطرون على كل إسبانيا»، وكان ينوي الاستطراد في هذا الموضوع إلا أن التزامَه بمنهجية كتابه المبنية على الاختصار، وأنه خصَّصَه فقط للمناظَرات والمجادَلات الدينية التي وقَعَت له جعلته يُمسك عن الكتابة في ذلك، وقال: «وهذه بينة وبرهان بأن الإسلام سيعمر أكثر بلاد الدنيا المعروفة في زمن القدماء، الذي وقَع الكلام عليها احترازًا على الدنيا الجديدة، التي ظهرت بعد ذلك بالمغرب البعيد، حيث هي الهنود المغربية»، ووضَّح أفوقاي أنه بالإمكان تحقيق الغلبة للمسلمين على الكفار لأنهم يخافون المسلمين، ويرتعدون منهم، وبيّن كيف كان ملوك النصارى يسايِرون المسلمين، ويطلبون كسبَ ودهم وملاطفتهم، ويرسلون السفراء «للقسطنطينية العظمى يطلبون منهم الصلح والرضى».

كما قدَّم نبذةً تاريخيةً عن أمريكا اللاتينية وسكانها موضِّحًا أن الإسلام لم يدخلها، وأن ديانة السكان هي المجوسية، إلى أن دخلت إليهم الأصنامُ عن طريق سلطان بلاد الأندلس.

## ثانياً – التوثيق الجغرافي في الرحلة:

حَرِصَ أفوقاي على وصف بعض المدن التي مرَّ بها في رحلته وساق عنها معلومات جغرافية، مُبرِزًا ثقافتَه في هذا الجانب، حيث كانت له اهتمامات جغرافية ممَّا جعَل السلطانَ المغربيَّ يطلب منه ترجمة كتاب عظيم في الجغرافيا، من الأعجمية للعربية، فيه تصوير كل بلاد الدنيا، قال عنه: «لم نرَ في كتب الجغرافيات مثلَه»، وكان ضمنَ مصادره الجغرافية؛ حيث نقل عنه بعضَ المعلومات الجغرافية حولَ تضاريس العالم. وفي وصفه وتعريفه لبعض المدن في رحلته ما يؤكِّد تأثره بثقافة عصره الذي تميز بظهور الكشوفات الجغرافية، يقول أفوقاي: «ونزلنا في بلد يسمَّى بالبريجة وهو للنصارى وليس بينَه وبين مدينة مراكش إلا نحو ثلاثة الأيام للماشي المتوسط، وتعجَب من المنع الذي في بنيان سورها،هو أساسه على حجر صلد، وسقفه ثلاثة عشر ذراعًا ولا يبالي بكور المدافع من إتقانه وغلظه، وتلك البريجة في ركن من الأرض والبحر داير بها من الجانبين... ومن الجانب الآخر البساتين»، و«مدينة أزمور هي للمسلمين على ثلاثة فراسخ من البريجة»، وقال واصفًا مراكش: «هي مدينة كبيرة، فواكهها كثيرة، عنبها ليس في الدنيا مثله، عرضها إحدى وثلاثون درجة ونصف، وطولها تسع دراج، لأنها قريبة من الجزر الخالدات المسمات الآن بقنارية، ومنها ابتدأ الطول».

هذا، وقدَّم أفوقاي وصفًا جغرافيًّا وعمرانيًّا لمدينة بريش –باريس– التي وصل إليها في سفارته إلى أوربا وعرفها بقوله: «هي دار سلطنة الفرنج، وبينها وبين مدينة روان نحو ثلاثة الأيام، وطولها خمسة آلاف وخمسمائة خطوة، وعرضها أربعة آلاف وخمسمائة خطوة، وبيوتها عالية، أكثر من أربع طبقات وأكثر وأقل،... وكلها عامرة بالناس، وديار الأكابر مبنية بالحجر المنجور»، ورغم وصفه لما استوقفه من الفن المعماري الأوربي، وذكَر ما نمى

إلى مسامعه من وصف النصارى لهذه المدينة – بريش– ثم مدينة أشبونة في الأندلس على أنها أعظم مدن الدنيا، حضرت بلاد مصر في ذهنه التي رأى أنها أحقُّ أن توصف بتلك العظمة، ما يقودنا إلى الاستدلال بذلك على مستوى النهضة والحضارة في فن العمارة الإسلامية آنذاك، لدرجة أن العمارة الأوربية لم تُبهره مثل العمارة المشرقية.

وسجل أفوقاي إعجابَه بمدينة شاند ينشي الواقعة على بعد ستة أميال من باريس خلال زيارته لها ووصفها بأنها دار عظيمة، وتَظهر فيها الآثار العمرانية الإسلامية واضحة؛ حيث استطاع أفوقاي أن يَلمح ذلك في آثارها ونقوشها، يقول: «وصعدنا جميعًا إلى بيت مرتفع، وجاء رجل وفتح الخزانة التي كانت فيها الذخائر،... ثم أخذ كأسَ بلور على طور ذراع الإنسان، وموضع قبضه في الوسط أو أنزل منه، حزام مكتوب بالعربية، بخط مثل الكوفي منقوشة فيه، وقبضته بيدي وقرأت في المكتوب اسمين من أسماء الله تعالى: (هادي)، (كافي)، ولو تركه عندي لقرأته كله»، ويتابع في الوصف المعماري مدينة أمستردام التي أذهلته بزينتها ونقائها وكثر مخلوقاتها، وشبَّهَها بباريس وتعجَّب من أسطولها البحري الذي يحوي ست آلاف سفينة، «وأما الديار كل واحدة مرسومة، ومزوَّقة من أعلاها إلى أسفلها بالألوان العجيبة، ولم تشبهه واحدة أخرى في صنع رقمها».

وكان حريصًا على وضع رسومات بيانية وتوضيحية لِمَا يتحدث عنه مذيلةً بالشروح التفصيلية، وقال عن مدينة برضيوش: «أعظم مدن فرنجة على حاشية نهر عظيم»، ثم وصَف بعضاً من تنظيمها الإداري بقوله: «وفيها ثمانون قاضيًا، ومائتا كيلو، والمفتون والكُتاب بلا حساب، وفيها ديوان يحكم على كثير من البلدان»، وكان دقيقًا في وصف مدينة طُلوشة على شاطئ النهر العظيم الذي يمر منها إلى برضيوش.

وظهرت ثقافته واهتماماته الجغرافية في عنايته بمجال رسم الخرائط (المبَّات – Mapa) وتصوير الكرة الأرضية، وسجل أفوقاي تقسيمات العلماء القدماء للعالَم فجعلوه أربعةَ أقسام، وكل قسم سمَّوْه باسمه، فسمَّوْا أوربا إلى جهة القطب الشمالي، ابتداءً من البحر الأسود إلى آخِر بلاد الأندلس، ويقع في هذا الربع أعظم مدينة باتفاق جميع الملل والأجناس وهي القسطنطينية، ويوجد فيه مسلمون ونصارى، ويسكنها الصقالبة أيضًا، والربع الثاني هو الربع الأفريقي المسمى ببلاد المغرب، ثم ذكَر حدودَه، وديانة سكانه؛ وهي الإسلام، وقلة جِدًّا من المجوس، وعَدَد مدن هذا الربع الإفريقي بما فيها مصر، وتونس والجزائر والمغرب، وتحدث عن الربع الآسيوي، وسمى أمريكا اللاتينية المغرب البعيد؛ حيث الهنود المغربية، وذكَر من ضمن عاداتهم في ضبط الأمن في المدن أنهم في لحظات انشقاق الفجر: «أخلوا المدفع الكبير وهي علامة عندهم إذا أدخلوا ذلك أنه لا يتخلف أحدٌ عن الخروج من البلاد».

كما كان يذكر موقع البلد من خط الاستواء، ومن البحارمبيِّنًا أن ذلك كله موجود وفي علم المبَّات Mapa –علم الخرائط والصور– التي تصوِّر بلاد النصارى، والكرة الأرضية منها كل مدينة مصورة ومكتوب اسمها بطولها وعرضها والوديان والبحار فيها، وتحدَّث عن حدود بلاد الأندلس وعن الجزر الإسلامية وكيف دخَلَها الإسلامُ، وهو بهذا الرسم البياني الذي سرده على شكل خريطة تضم تقسيمات لجغرافية العالم يحاول أن يبرهن أن الإسلام هو الدين الأكثر انتشاراً، هذا واعتذر للقارئ عما يجهله من معلومات جغرافية وقال: «لجهلي بها».

يقول موضحاً تطور العلوم والمعارف الجغرافية في زمنه: «وقد عرفت الناس في زمننا هذا أكثر من الأوائل في أمور الدنيا»، معيباً على اليهود كثرة أخطائهم فيما يروونه من معلومات جغرافية وتاريخية «وتكذب اليهود عن

وادِ السبت، وأن وراءه سلطنة عظيمة لليهود، وأن الوادي لا يجري يوم السبت،... فأما اليهود فيصبرون نفوسهم عن ذلهم وخزيهم بذكر واد السبت إذا سئلوا: في أي قطر أو جهة من الدنيا هو؟ فلا يعلمون ما يقولون».

## ثالثاً – التاريخ الاجتماعي:

وثَّق لنا أفوقاي بعضَ الأوضاع الاجتماعية خلال تلك الفترة، ومنها ما أجملَه في حوار دار بينَه وبينَ القسيس جاء نصه: «أنتم الأندلس فيكم عادة غير محمودة، قلت: ما هي؟ قال: أنكم لا تمشون إلا بعضكم مع بعض، ولا تعطون بناتكم للنصارى القدماء، ولا تتزوجون مع النصرانيات القدماء»، يتضح تكاتُف المسلمين وتآزُرُهم خلال الفترة الأخيرة من الوجود الإسلامي لهم بالأندلس، تجاه ما يتعرَّضون له من أذى وتعذيب ومهانة، وهو ما ذكره أفوقاي بقوله للقسيس: «وطلبتُ منه أن يكون سندًا للأندلس؛ لأنهم ذلال عند النصارى القدماء»، الأمر الآخَر هو أن الموريسكيين لا يزوجون نساءهم للنصارى، ولا يتزوج رجالهم من النصرانيات عكس الفترة الأولى المبكِّرة من الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس، وقد أكَّد أفوقاي هذا التوجهَ عند الموريسكيين حول امتناعهم عن الزواج من النصارى رجالًا ونساءً، واستشهد للقسيس بحادثة حدثت في مدينة انتقيرعندما عشق رجلٌ من قرابته نصرانيةً، ولمعارَضة قرابتها الذين حلفوا أن يقتلوه توشح سيفًا وهو متجه للكنيسة تحرُّزًا منهم، وبعد زواجهما انقطعت علاقتها بقرابتها، ومن إيجابيات هذا الزواج أن أسلمت الزوجةُ على أيدي زوجها ثم أسلمت أمُّها على يدها.

هذا، وقد قدَّم لنا أفوقاي تصوُّرًا عن حال المرأة المسلمة في الارتباط قبل الزواج، وكيف كانت العادات والتقاليد المستقاة من الشريعة الإسلامية حيالَ هذا الموضوع، من خلال ردِّه على استفسار إحدى النساء النصرانيات في حوار دار بينَه وبينَها عندما كان في بيت قاضي الأندلس في باريس، وجاء

نصُّه: «والنساء عندكم محجوبات؟ قلتُ لها: نعم، قالت: وكيف يكون العشق عند البنات ومَنْ ينكحهن؟ قلتُ لها: لن يراها أحدٌ ممَّن يخطبها حتى تكون له زوجةً... ووجب المسلم أن يشكر الله على دين الإسلام»، وفي المقابل ذكَر حالَ المرأة النصرانية وكيف هي عادة النصارى قبل الارتباط من تزاوُر الطرفين لتحصُل المحبةُ بينَهما، فإذا ظهَر للرجل أن يخطبها وللبنت أيضًا حينئذ يقع النكاح، وإذا بَدَا لهما غيرُ ذلك فلا يلزمه شيءٌ، وقد يكون للبنت غير واحد يزورها على الوجه المذكور.

كما قدَّم أفوقاي صورةً واضحةً عن المرأة الأوربية المتحررة من القيم والأخلاق التي تحاوِر وتجادِل وتناظِر وتستفسِر ولا تمانع في إحتساء الخمر، بل وتقدم الحجج التي تعتقد أنها مقنعة في إباحته، مناظِرةً بها أفوقاي فتقول: «ما السبب حتى منَعَكم نبيُّكم الخمر؟»، ثم تُعَقِّب على ردوده بقولها: «كيف أباح لكم نبيكم أن تنكحوا أربعاً من النساء ومنَعكم الخمرَ؟».

وفي صورة أخرى من التحرر نجد أفوقاي في اجتماع داخل دار «قايد الطابع» يضم عددًا من النساء، وتدور بينَه وبينَ إحداهن مجادَلةٌ حول حرمة الأصنام والصور يقول: «وبعد الطعام نادوني، وأعطوني كرسيًّا وجلستُ وزوجة القائد عن يميني والبنات قبالتي،... وفي حال لباسها ظاهرة أنها من الأكابر، ومعها بنتان تخدمانها، ولَمَّا جلستُ نظرتني شزرًا».

وفي ذات السياق أيضًا سجَّل قصةَ تعلُّق إحدى بنات الإفرنج البالغة من العمر أربعة وعشرين عامًافيه، ومحبتها له، وصبره ومجاهدته لهوى نفسه تجاهَها، فيقول: «كنتُ أذكر لأصحابي بعضَ الحكايات فيما وقَع للرجال الصلحاء الواقفين على الحدود لنقويهم على نفوسهم ونفسي على دعاوي النفس والشيطان في شأن المحرمات... كان الشيطان يوسوسنا كثيرًا وكنا صابرين»، فلم تزل هذه البنت بالرجل «وكانت تزيِّن نفسَها.. ثم قالت لي: أعلمك تقرأ

بالفرنج، وصرتُ تلميذًا لها، وأخذَت في إكرام أصحابي، وكثرت المحبةُ بينَنا حتى ابتليتُ بمحبتها بليةً عظيمةً»، ودخَل أفوقاي في مرحلة صراع النفس والعقل، وجاهَد نفسَه وأكثر من الدعاء ليثبِّتَه **الله** ويُبعِده عن الحرام، يقول: «وفكَّني **الله** بفضله وإحسانه وحمايته وتوفيقه الجميل، وأستغفر **الله**».

هذا وقد أشار أفوقاي إلى وجود جريمة أخلاقية محرَّمة شرعًا منتشرة عند بعض المسلمين، وهي اللواط، وذكَر أن من أسباب تفشِّيه عدم وضع عقوبات رادعة على من يقترفه، فانتشر عند بعضهم من ضعيفي الإيمان حتى توهَّم النصارى أن الدين الإسلامي يُبيحه، وذكَر أن الأمر بلَغ عند بعض المسلمين أن يُخصص أحدهم بعض الأولاد ويُحجبون «للفعل بهم»، وعلَّق على ذلك بتقصير المسلمين في التوضيح للنصارى حرمةَ هذا الفعل وشناعتَه في الدين الإسلامي، وأنه مُوجِب لخسفِ **الله**ِ وعقوبتِه.

كما تحدث عن قضية (الختان) خلال مناظرته مع اليهود عندما ذكر قصة إبراهيم وابنه عيسى عليهما السلام المتعلقة بالختان وموضحاً سبب ضرورته كما وردت عندهم في التوراة، مؤكداً أن عيسى عليه السلام بشهادة النصارى قد «اختتن في أول يوم من شهر يناير، ثم أسقطوا ذلك عن أنفسهم بغير أمره –**الله** سبحانه وتعالى–»، وفي ذات سياق حديثه عن الطهارة ناقش قضية (الغُسل بعد الجماع) وكيف أن ذلك موجود في التوراة ولكن اليهود أسقطوا ذلك عن أنفسهم «وأنهم جميع اليهود بنجاسة موروثة من آبائهم وأجدادهم، وعلمائهم ملعونون بإباحتهم في ترك فرض من فرائضهم»، كما ذكر أن «النصارى لا يقربون الماء أبداً إلا مرة في العمر، وهو الغسل عند دخولهم في دين النصارى المسمى بالماء المعمدان»، وقارن بينهم وبين المسلم الذي يجاهد نومه ويقوم من فراشه عند السحر في أيام البرد ولا يجد سبيلاً لتسخين الماء فيغتسل به بارداً لئلا تفوته صلاة الصبح.

## رابعاً – الحالة الفكرية:

من خلال استقراء كتابات أفوقاي في رحلته نستطيع تكوين خلفية عن الحالة العلمية والفكرية في تلك الحقبة، حيث نجد هناك محاولاتٍ جادةً من النصارى لطمس الهوية الإسلامية في بلاد الأندلس، ومَنْع تعلُّم اللغة العربية أو التخاطُب بها وفرضت أقصى العقوبات من تشريد وتعذيب وحَرْق لكل مَنْ يتعاطها؛ لذا تجنَّب الكثيرُ من المسلمين إظهارَ عِلْمهم بها خوفًا من بطش النصارى، يقول أفوقاي: «وبعد السلام والكلام فتحتُ الكتابَ، فلمَّا رأوه مكتوبًا بالعربية دخلَهم الخوفُ العظيمُ من النصارى وقلتُ لهم: لاتخافوا، الآنَ النصارى يكرمونني ويعظمونني على القراءة بالعربية»؛ ما يدل على المكانة التي بلغها أفوقاي لمعرفته باللغة وحاجتهم إليه، والتي جعلتهم يستثنونه ويستعينون به في الترجمة، والراجح أن النصارى زرعوا لهم جواسيس من بين المسلمين يراقبونهم ويوشون بهم؛ لذا ذكَر أفوقاي أن الأندلسيين أصبَح «يخاف بعضُهم من بعض، ولا يتكتمون في أمور الدين إلا مع مَنْ كان ذا أَمَنَةٍ، وكثيرٌ منهم كانوا يخافون بعضهم من بعض»؛ ممَّا أدَّى إلى ضَعْف التوجه لتعلمها علنًا، وهذا ما يهدف إليه النصارى، لدرجة أن مسلمي الأندلس «كان فيهم مَنْ يحب أن يتعلم شيئًا من دين **الله** ولا يجدون مَنْ يعلمهم»، وبرهَن أفوقاي على تخوُّف المسلمين من تعقُّب (الحرَّاقين) لهم، وشجاعته وجُرأته التي تمخضت عن مكانته وشهرته عند النصارى، عندما ذكَر أن الأندلسيين تعجَّبُوا من تلك الجرأة في تعاطيه اللغة العربية، وحمله لبعض الأوراق المكتوبة بالعربية فكانوا «يقولون فيما بينَهم لا بدَّ لهذا من الوقوع في أيدي الحرَّاقين»، فتسلَّلوا من حوله خشيةً على أنفسهم وبقي وحدَه، ما دفعَه إلى أن يثبت خيبةَ توقُّعِهم وجرأته «من أجل ذلك قصدتُهم وفتحتُ الكتابَ إليهم لنريهم ما أنعم **الله** –تعالى– عليَّ به، إذ بدَّل لي الخوفَ بأمن، والعقوبةَ والإهانة والذل بعزة وكرامة».

ورغم الإجراءات التي اتخذها النصارى لطمس الهوية الإسلامية وإلغاء كل مظاهرها، فإنّ الحضارة الإسلامية واللغة العربية لم يَخْبُ نورها، فكان لا غنى عنها في التعليقات والشروح، تأمَّل قولَ أفوقاي عن أحد القساوسة: «وأدخَلَه في جدول من تسعة وأربعين بيتًا، ووضع في كل بيت حرفًا من العُجمى، ثم وضع تحت الجدول شرحًا بالعربية»، ويقول: «وهي مكتوبة بالعربية.. وكان يتعلم يقرأ العربية»، ويقول: «الأندلس الكبار السن الذين يعرفون القراءة بالعربية».. والقسيس الكبير تعلم يقرأ بالعربية، .....ولما فتشوا في الغار وجدوا بعض الحجار معقودة فكسروها ووجدوا في قلب كل حجر كتاباً وورقة رصاصاً،... وهي مكتوبة بالعربية»، فالواضح هنا سيطرة اللغة العربية والتعمق فيها رغم اللحظات الأخيرة للوجود الإسلامي، تأمل قوله: «وهذه الترجمة وعباراتها هي من إنجيل مكتوب بالعربية كان عند القسيس»، حيث تؤكد هذه العبارة فيما يبدو ملازمة اللغة العربية للنصارى وعدم استغنائهم عنها خاصة إذا ما علمنا بحاجتهم الماسة لوجود نسخ من كتبهم باللغة العربية من أجل الدعاية لدينهم والحملات التنصيرية المكثفة آنذاك، واستمرت الحاجةُ للمترجمين إلى اللغة العربية مِنْ قِبَل النصارى، تزامناً مع استمرار المجادلات الدينية، والتي عرض أفوقاي كثيرًا منها في رحلته ودارت بينَه وبينَ النصارى مثبتًا فيها قوةَ حجته ومناصرته للدين الإسلامي وللمسلمين المغلوبين على أمرهم هناك، وكانت تلك المجادَلات الدينية من أهم دوافع الحركة الاستشراقية في أوربا واستوائها على سوقها، منذ اللقاء الذي تم بين الشرق والغرب في الحروب الصليبية، واللقاءات التالية في الأندلس وصقلية وغيرها من معابر انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا، وذلك لتفنيد دعوى الإسلام والرد عليه من قبلهم – ومحاولات التنصير بين صفوف المسلمين والعناية بأحوال النصارى في المشرق، بالإضافة إلى حركة الإصلاح الديني التي اكتسحت أوربا، والتي أشار إليها أفوقاي في

رحلته خلال زيارته لهولندا؛ لذا أصبحت اللغة العربية مطلباً أساسياً في أوربا، يقول أفوقاي عندما دون مشاهداته عن باريس: «ويُدرس في هذه المدينة كل أنواع العلوم بلغات مختلفة كاللاتينية، والعبرية، واليونانية، والعربية، وكل يوم يُطبع كتب في علم العربية، وهكذا في روما، وهولندا، وألمانيا، وباريس، يترجمون بعض الكتب ويوفقون في الغالب».

وكان للغة العربية تأثيرها بين التجار النصارى الذين اكتسبوها ببراعة من خلال مهنتهم وتعاملاتهم مع المسلمين، يقول أفوقاي: «ثم مشينا إلى مدينة روان، وجاء إلينا تاجر كنت عرفته في مراكش اسمه فرط، ولطول مكثه ببلاد المسلمين كان يعرف العربية غاية».

هذا، وقد كانت المؤلَّفات الإسلامية قد ذاع صيتُها في أوربا وانتشرت بفضل الله ثم بفضل النهضة الإسلامية العلمية والثقافية التي نقلها المسلمون لأوربا، ومن ذلك ما ذكره أفوقاي حول كثرة استعانة النصارى بالمسلمين لقراءة وترجمة الكتب العربية، ففي ذلك فائدة عظيمة تعود عليهم، ومن تلك الكتب ذكَر أفوقاي كتاب «القانون» في الطب لابن سينا، وكتاب «إقليدس» في الهندسة، وكتبًا في النحو مثل الأجرومية والكافية وغيرها.

وقد مر معنا كيف صمَدَت الآثارُ الحضارية الإسلامية التي شاهدها أفوقاي مكتوبةً باللغة العربية في أوربا لتبقى بصمة عز وشرف للمسلمين مهما شابَها من مغالَطات ومهما طالَها من محاولات الطمس، فقال معتزًّا باللغة العربية عندما شاهَد تلك الكتابات: «انظر العربية ما أقدمها، وأي حُرْمة لها.. وأسماء **الله** مكتوبة بها في الكاس..، والكلام بالعربية لمن يعرفها خير من الكلام بغيرها من اللغات»، وكأنه يوجه رسالة للموريسكيين الذين انتقلوا لبلاد المسلمين بأهمية أن يتحدثوا بالعربية، وفي هذا الصدد يمكن القول: «إن الكتب الجدلية التي ألفها الموريسكيون سواء كانت باللغة الإسبانية أو الألخمادية، وبالتأكيد

بالعربية، هي موجهة للمسلمين عموماً وللجماعة الموريسكية خصوصاً، هذه الجالية التي رغم انتقالها إلى دار الإسلام فإنها مازالت في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي (الحادي عشر الهجري) تقف على الحدود بين العالمين المسيحي والإسلامي غير واثقة من هويتها ودينها فهؤلاء في الغالب يتكلمون الإسبانية في مجتمع عربي،...ويخلطون في عبادتهم وعاداتهم بين المسيحية والإسلام».

وأوضح أفوقاي أنه عندما وصل مدينة ليدا وجد أن المدارس كانت تُقرئ جميع العلوم والعربية، وكان هناك من يُعلم اللغة العربية ويأخذ راتباً على ذلك، فالعربية هي أساس العلوم وكان الجميع يحرص على تعلمها.

هذا، وكانت سمة طلب العلم بارزة في تلك الفترة ليس في الأندلس فحسب، بل في بلاد اليونان حيث كانت أثينا مركز علم شامل لكل العلوم، يقصدها طالبوه فيقول: «قال سيسيليه عن نفسه أن مشى من بلاد المغرب في طلب العلم إلى مدينة أطناش– أثينا اليونانية – ببلاد اليونان حيث يُقرأ العلم بكل لسان ومن جملتها اللسان العربي»، وفي ذلك ما يدل أيضاً على تمكن اللغة العربية، وأنها مطلب أساسي لطالب العلم بالإضافة لغيرها من اللغات والعلوم.

ويبدو واضحًا أن النصارى استغلوا وجودَ الأسرى المسلمين العارفين باللغات في ترجمة ما أرادوا من الكتب التي أشكَلَت عليهم، وهو ما ورَد عند أفوقاي حيث أوضَح ذلك على لسان أحد القادة المسلمين بمدينة مراكش يقول: «كنتُ أسيرًا بمدينة غرناطة، ونادَوْني إلى حضرة القسيس الكبير، وأعطوني كتابًا في ورق من رصاص من الكتب التي وُجدت تحت الأرض وقرأته..»، إلا أن هناك ما استحالت قراءتُه على النصارى أو ترجمتُه، وهو كتاب حقيقة الإنجيل، أوضَح أفوقاي أنه مكتوب من ورق ومن رصاص بحروف لم تُعرَف في زماننا، وسمَّاه المترجِمون بالكتاب الأبكم؛ لعدم معرفة قراءته.

## المبحث الثالث

## تقييم جهود أفوقاي من خلال نتاجه العلمي

### أولاً – حاسته التاريخية وأسلوبه:

يعد الحس التاريخي لدى المؤرخ عاملاً مهماً في نجاح مهمته، بل هو من أهم أدوات عمله خاصة عندما يتعامل مع العديد من المصادر والروايات والنصوص المتناثرة بلغات مختلفة، ولا شك أن هذه المسؤولية تتعاظم وتزيد عندما يتعلق الأمر بمغالطات عن الدين الإسلامي عند غير المسلمين، أو التاريخ الإسلامي، فكان لثقافة أفوقاي وتمرسه في فنون الرد والمناظرة دور في صقل حاسته التاريخية؛ فلم يكن مجرَّد ناقل لِمَا يكتبه، بل كثيرًا ما نجد له وقفاتٍ نقديةً بين ثنايا أسطُر الرحلة، وتصحيحه لِمَا ورَد عند غيره، بأسلوب لبق غير استعراضي، ومن ذلك قوله: «وأما ما ترجم به كلُّ مَنْ سبقَنا وكان فيهم أعلم مني، فترجم الشرح وحدَه وهو لا يفهم معناه، وذكر لي أنه كان فيهم من قرأ (المتلبية) بأن قال: «بسم الذات الكريمة المثلثة» وذلك كذب؛ لأن حروف (المثلثة) خمسة، و(المتلبية) سبعة».

وقد أعمل حسَّه النقدي التاريخي في بعض ما كتبَه المؤرخون المسلمون عن فيليب الثاني، عندما كتبوا عن حروب المسلمين والنصارى، ولم يحددوا اسمه فقال: «أعلم أن سلطان البلاد المسمَّى بفِلِبِّ الثاني، من اسمه، أعني ممَّن سمِّي من السلاطين بفِلِبِّ، وبيَّنت هذا؛ لأني طالعتُ بعضَ كتب التواريخ للمسلمين فيما وقَع لهم من الحروب مع سلطان البلاد المسمَّى بِأَلْفُنْش، ولم يبينوا أيهم كان، لأن ببلاد الأندلس كان فيها أكثر من اثني عشر سلطانًا مَنْ سُمِّي بِأَلْفُنْش، إلا أنهم يذكرون كلَّ واحد بحسابه من الاسم، مثل أن يقولوا: الْفُنْش الرابع، أو الثامن، أو العاشر، والمؤرخون المسلمون لا يذكرون درجةً للاسم».

وقد اتبع منهجيةَ المـؤرخ عندما حَرِصَ على مقابلة التاريخ الهجري بالميلادي في مواضع من رحلته، ومنها مثلًا قوله: «في عام ست وتسعين وتسع مائة من الهجرة، ومن حساب النصارى عام ثمان وثمانين وخمس مائة وألف»، و«وشُهِر هذا الأمر ونودي به في الثاني والعشرين من شهر شتنمبر من عام تسع وست مائة وألف».

وكان أفوقاي حريصًا على أن يصل المعنى كاملًا إلى القارئ مع وضوح الصورة، وله وقفات عديدة في رحلته يشرح للقارئ بعضَ الكلمات، منها قوله: فهمت من (المتلبية) أنه مأخوذ من لب الشيء معناه الذات الساذجة الخالصة لا مركبة ولا ممزوجة»، وقوله: «ثم أُخذ منه نسخة اليوناني وترجمة باللسان المتصرف بإشبانية –العجمي– وهي بلاد الأندلس»، وقوله: «موضع يسمَّى لِترًا – أعني كنيسة».

كما تميَّز في كتاباته بدقة الوصف كقوله: «ثم أمَر القسيسُ بإحضار الرق وكان في الطورة مكتوب بالعربية بحروف غير منقوضة»، وقوله: «وكلُّ ورقة قَدْرُ كفِّ اليد أو أقل قليلا()»، أما لغته في تدوين رحلته فكانت سهلة وواضحة، ولكن يُلاحَظ تشرُّبها بالعامية في مواضع كثيرة من رحلته، وضَعْف التركيب اللغوي في مواضع أخرى، وهذا – بلا شك– ناتج عن تراجُع المستوى الثقافي والتعليمي الذي لحق بالموريسكيين نتيجةَ حظر تعلُّم اللغة العربية عليهم أو ممارستها في حياتهم، كما يُلاحَظ أن كتابات أفوقاي لم تكن على مستوى واحد، بل كانت الكتابات المتزامِنة مع قرار الترحيل والإبعاد وخروجه من الأندلس يعتريها الضَّعْفُ والركاكةُ والعاميةُ؛ إلا أنها تُعبر عن مستوى جيد إذا ما نظرنا إلى قرارات منع التعاطي باللغة العربية، وبقي محتفظًا بثقافته ولغته نحو ثلاثين سنةً في ظل قوانين القمع، متعايشًا ومجابِهًا لمحاولات النصارى طمس الهوية الإسلامية في الأندلس.

أما كتاباته التي كتبها أثناء استقراره في بلاد المسلمين بعيدًا عن تسلُّط النصارى وملاحقتهم فيُلاحَظ أنها أكثرُ قوةً من السابقة، كما قلَّت المفردات العامية، ساعَدَه على ذلك أنه مارَس الكتابةَ باللغة العربية والترجمة في ديوان السلطان لفترة طويلة، كما جاء أسلوبُه خاليًا من المحسنات البديعية التي غرقت فيها الكتابات المشرقية خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي؛ لانقطاع الأندلس عن التأثيرات الشرقية بعد سقوط غرناطة، وعلى الرغم من مرور أكثر من خمسين سنة على تسلُّط النصارى وتشديدهم في منع استعمال اللغة العربية على الموريسكيين فإنّ أفوقاي جسَّد لنا شخصية الموريسكي المتمسِّك بهويته والمعتزّ بدينه ونفسه أمام الآخَر الأوربي الذي أحسَن التعايشَ معه وفَهِمَ ثقافتَه من أجل مناظرتها والرد عليها.

وكان يُعمِل حسَّه النقديَّ في كثير من الوقفات؛ كأن يقترح بعضَ الردود المناسبة في حال المناظَرات، نحو قوله عندما أورَد ردَّ أحد شيوخه على ادعاءات النصارى ألوهية عيسى عليه السلام: قال **الله** تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنۡهُ﴾ فكما خلَق **الله**ُ السمواتِ والأرضَ خلَق سيدنا عيسى... ولو ذكر له قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، وكذلك ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾، كما ظهر حسُّه التاريخيّ فيما يكتُب، ومن استنتاجاته الدالة على ذلك قوله: «والحروف العربية التي كانت في ذلك الزمان حسبما كانت في الرق، فحرف القاف كان بنقطتين، وهذا برهان أن المشارقة في ذلك هُمْ على العهد القديم، بخلاف المغاربة؛ إذ لا يجعلون القافَ إلا نقطة واحدة، ومدينة البحر المذكورة رجوتُ **الله**َ -تعالى- أن تكون البندقية أو مالطة؛ لأنها في البحر، وليس على المسلمين أضر منها»، وقوله: «وفي الرق أيضًا يقول: من القِبْلة يخرج الحاكم العدل ولا يعود، انتهى، انظر هل يدل على النبي - ﷺ - لأنه بعد افتتاح مكة المشرفة وهي القبلة، فبعد حجة الوداع خرج منها ولا عاد إليها».

وكان أفوقاي حريصًا على أن يتحقَّق بنفسه من أي معلومة يحصُل عليها عن عقيدة النصارى واعتقاداتهم الدينية؛ وذلك يتضح في قوله: «سمعتُ هذا الكلامَ بمدينة غرناطة من بعض الناس، ولا تحقَّقت حتى سألتُ عن ذلك القسيس بعد أن عرفتُه، وذكر لي الحكاية كما سمعتُها من غيره».

## ثانياً – أثر النزعة الدينية في كتاباته:

عندما نستقرئ كتابات أفوقاي ومناظراته الدفاعية عن الإسلام تبدو لنا قوة إيمانه ماثلة أمام العيان، حيث كان يحاسِب نفسَه كثيرًا ويخاطبها ويعاتبها ويناصحها، وكأنه يتحدث مع شخص آخَر أمامه، ومن ذلك قوله عندما اضطر إلى سجود السهو في صلاته: «فأخذني الغيظ على نفسي، وقلتُ: ما كان يقع منك غلط حين تدخلين إلى حضرة السلطان وهو مخلوق مثلكِ، وحين تقفين بحضرة الخالق العظيم.. تتكلمين بحضرته والملائكة حاضرون.. ولكن– إن شاء **الله** – نشتري سوطًا من جلد، ونضربك به على كل صلاة..»»، ويقول: «إن **الله** يريد من الإنسان قولًا باللسان، وإخلاصًا بالقلب، وعملًا بالجوارح»»، وكان غالباً ما ينهي كتاباته بأدعية ختامية يتضرَّع فيها **الله** تعالى، ويدعو لنفسه ووالديه وكل مَنْ يقرأ من المؤمنين والمؤمنات، من المسلمين والمسلمات والأحياء والأموات، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ.

ومن الأهمية هنا أن تتوقَّف عند بعض المواضع في الرحلة، والتي يورد فيها أفوقاي بعض القصص والأساطير والخزعبلات التي يؤمن بها، منها ما قد يمس سلامة عقيدته، رغم نزعته الدينية الواضحة وحرصه على محاسبة نفسه في كل وقت، وتسخيره علمه وثقافته للدفاع عن الدين الإسلامي، وانبرى للجهاد عنه بقلمه ولسانه، وتصحيح بعض القضايا الإسلامية المغلوطة عنه مِنْ قِبَل الكفار.

**وسنستعرض ما يسمح به المجال ممَّا ورَد لديه حول ذلك:**

يزعم أفوقاي أنه محاط بمجموعة من الشياطين التي صاحبته ليلةَ سفره من برضيوش إلى مدينة طلوشة، ومع تكراره لسورة الإخلاص تهرُب عنه، بل زعَم أن أحدهم كافر، ودار بينَه وبينَ هذا الشيطان حوار حيث سأله: مَنْ أَذِنَ له بالحضور لباريس؟ فأظهَر له أفوقاي خطابَ سلطانهم فسخَّرهم **الله**ُ له ببركة سورة الإخلاص.

ولا يخفى على الجميع بركة كلام **الله** –عز وجل– وأثره في طمأنينة النفس والروح، ولكنَّ أفوقاي جعَل يسرد من القصص والمبالَغات في هذا الشأن مراراً، وفي ذات السياق ما ذكَره من أن شيخه أحمد المعيوب يكتب أسماء **الله** الحسنى في جدول بحيث تُقرأ طولاً وعرضًا، ويقرأها قبل النوم، ثم يضعها تحت رأسه وينام، ويزعم أنه يأتيه في المنام الأجوبةُ التي كان يضمرها في نفسه، وتأمل قوله عن شيخه السنوسي أن مَنْ لَزِمَ قولَ الشهادتين يجد تحت سجادة الصلاة دراهم لا تنقطع، وأنه يخاف إذا باح بطاعاته يفتر عزمُه حتى رأى رؤية أنه يتلو آيات منها: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ما جعلَه يبوح لشيخه الأجهوري فنصَحَه الأخيرُ بأن لا يتوقَّف ويستمر في ممارسة طاعاته، وأن يذكر **الله**، ويكتب دون خوف أو قلق، فاطمأنَّ وشكَر **الله** على نعمته عليه، مشيرًا إلى أن **الله** وهبَه نعمةَ سرعةِ التعلم؛ وذلك ببركة الأندلس– يقصد المسلمين– وأهل العلم، وكان يحمل معه ورقة كتَب فيها آيات قرآنية جعلها بمثابة الحِرْز، رجاءَ بركاتها، والذي يبدو أن تلك المبالغات يتجلى فيها بوضوح نهج الصوفية؛ خاصة إذا ما عرفنا أنه أورد بعض الروايات عن كبير علماء الصوفية الشيخ محيي الدين بن العربي (ت636هـ/1238م)، وقد جاء عنده نقلاً عن أحد مصادره: «وهذا القول قريب إلى المعنى وهو قول جمهور مشائخنا الصوفية، وسالكي طريق التحقيق والعرفان»، كما كان عدد كبير من شيوخه من المتصوفة الذين يكثر

لدى أغلبيتهم الإيمـان بالمبالغات والقصص.

امتهن أفوقاي في مراكش الرقيةَ الشرعيةَ للناس واعتاده بعضُ المرضى هناك طلباً للشفاء، وهو ما نتوصل إليه من خلال بعض ما سطَّره في رحلته، فذكَر أن **الله** مَنَّ عليه أن شفى مرضاه بالرقية بآيات من القرآن، وأورَد قصصًا في ذلك، منها مريضة بمرض البرص تشافت، وذكَر أنه عندما كان في الأندلس جاءه رجل مريض بالاستسقاء متروك من الأطباء فيقول: «كتبتُ له نشرة بآيات القرآن ومحوتُها وأعطيتُه الماء، وشربه في نحو السبعة أيام وبَرِئَ»، وعاده رجل يشتكي من ألم في يده عندما يشرع في الوضوء، فلم يتمكَّن من كتابة آيات الرقية له، فقرأ عليه مباشرةً آيات من القرآن العزيز، فشفاه **الله**، كما كان يعالج نفسه أيضًا بالرقية الشرعية «ومما منَّ – **الله** به علي– أن شفى لي مرضي بالرقا بآيات من القرآن العزيز».

ويذكر عبدالوهاب بن منصورأن أفوقاي له في الاعتقاد وبالرُّقى والتمائم، وعلَّل ذلك بقوله: «ولعل هذا الاعتقادَ إنما لَصِقَ بعقله بعد انتقاله إلى المغرب واستقراره بمدينة مراكش، التي اشتهرت هي وما خلفَها وحولها من هود ونجود بوجود ناس كثيرين يشتعلون بذلك، ويرتزقون منه، ويحظون لدى المغفلين من العامة، إلا أننا نرى أن أفوقاي كان لديه هذا الاعتقاد منذ أن كان في بلاد الأندلس، و اتضح أيضًا أثناء رحلته في مهمته السفارية، وهذا الدليل مأخوذ ممَّا كتبَه هو بنفسه؛ حيث ذكَر أن حادثةَ الرجل المريض بالاستقساء وقعت عندما كان في بلاد الأندلس، يقول: «وقد جاني ببلاد الأندلس رجلٌ مريض بالاستقساء....»، وتأمل معتقداته وهو في بلاد الفرنجة يقول: «ومما اتفق لي ببلاد الفرنج بعد أن جازت علينا السنون، ونحن فيها، أني كنتُ أسمع حسًّا في البيت الذي أكون فيه وحدي في اليقظة، يضرب في الحائط شيئًا... ودخَل في قلبي الخوفُ والرعبُ حتى خفتُ من الجن أن يصرعني»، إلى أن ذكَر أنه اشتغل

بذِكْر الله ثم اتضح له مراد هذا الجان «أنه كان يريد أن أخرج من بلاد الكفار، ولم يتوقَّف الأمرُ عند ذلك، بل يستمر الجان مُرافِقًا لأفوقاي حتى بعد خروجه إلى بلاد المسلمين، «فكان يعمل لي حِسًّا ويُلهمني إلى الصلاة إذا نتعطل عنها»، ثم تأمَّلْ قوله: «كنتُ متحيرًا في أمره.. ولا استعملتُ قطُّ عزايم لنتخذ خديمًا من الجن»، فالواضح أن أفوقاي كان يؤمن بمكافَحة الجان باستعمال الجان نفسه، عن طريق ما سمَّاه (العزايم)، يستعين بها في ذلك، وما جعَلَه يتوقف عن اتخاذ الخديم؛ هو أنه بدا له أن هذا الجان مؤمِن ويُعينه على الطاعة، «ثم بان منه إذَا أكون وحدي نقرأ القرآن العزيز، وتأتيني سِنةٌ من النوم حتى يلتوي لساني بالقراءة، فيضرب لي في البيت لنقف ونقرأ، ثم إذا جاني النوم يضرب أيضًا حتى نختم القراءةَ، وبعض الليالي بالسَّحَر لا يهدأ عن الضرب إلى أن أقوم، وتارةً إذا معي أحد في الفِراش يُطلِق شيئًا قليلًا من التراب أو حجارة صغارًا قدر الحمص».

كما ذكر أفوقاي أن هذا الجني يصحِّح له قراءة القرآن عندما يغلط، بل تجاوَز ذلك إلى الاعتقاد أن يشاركه عملَه في الترجمة ويذكِّره بوقت الصلاة، فيقول: «كنتُ يومًا بمراكش جالسًا أترجم رسالةً باللطين تتكلَّم عن الكرة الأرضية والفلكية والكرتان.. النجوم والثواب والبروج في الفلك، كان قد أمرني السلطان مولاي زيدان – رحمه الله– بترجمة ذلك... وكنا في دار السلطان لنترجم.. وقت الظهر.. وسمعت الضرب في وراء لوح من خشب، ... وعلمتُ أن الضرب كان يقول لي: أترُك كلَّ شيء وأصلي الظهر»، كما أوضَح أنه ينبهه عند ساعة الاستجابة، ويعينه على الختمة وقراءة الحزب، وذكَر أنه سنةَ 1046هـ/1636م عشرين من شوال يوم السبت وهو في مصر فقَد كتابًا أَلَّفَه في أسماء الله الحسنى، وحمَلَه معه في الجهة القريبة من قلبه، وفقَد هذا الكتابَ، فألهَمَه اللهُ أن يقرأ أسماءه فقرأ الفاتحة ثلاثاً وخمسين مرة، والبسملة مع كل واحدة، وألم نشرح ثلاثاً

وخمسين مرة، والأسماء ثلاثاً وخمسين مرة، وجلس في الدكان إلى بعد العصر، وعندما عاد للمنزل وجدَه في مكان جلوسه، وكل ذلك يؤكِّد ما ذهبنا إليه من أن أفوقاي كان لديه الاعتقاد بالرُّقَى والتمائم والحرز قبل استقراره في مراكش وتأثره بأهلها في هذا التوجه، وقد صرَّح بذلك صراحةً عندما ذكر أن الجني الذي يطلعه على الغيب ويُلهمه الصوابَ كان ملازمًا له منذ خمسة وعشرين عامًا، «يقول: كان ابتداء هذا الأمر قبل هذا التاريخ بنحو الخمس وعشرين سنةً، ونعرف أنه معي أينما أكون ولا نراه ولا يجاوبني»، وبعد استقراره في مراكش وجَد بيئةً خصبةً لاعتقاداته، إضافة إلى أنه تعلَّم على أيدي بعض شيوخه شيئًا من علم التنجيم والجداول والرسوم وغيرها من الاعتقادات.

وها هو يعمل حرزًا لإحدى المريضات اللاتي يراجعنه تشتكي من وجود ثآليل فكتب لها جدولًا مثمنًا حرفيًا، ذكَر فيه اسمين من أسماء **الله** الحسنى، وبعض الأبيات الشعرية، وعلقته عليها فشفيت.

ولم يكن أفوقاي يعتمد على ذلك الاعتقاد وأساليب التطبيب بشكل كامل في مهنته؛ بل كان أيضاً يقرأ في كتب الطب والتداوي ويقترح حلولاً بديلة لمرضاه، وهذا ما يتضح عندما نقرأ قوله بأن مريضة زارته طلبًا للعلاج، وهي: «مملوكة سودانية اسمها مباركة، كانت بدارنا بمراكش، في جسدها البرص الكثير، وهو في زيادة كما هي العادة في تلك العلة.... وتحتاج أدوية كثيرة، فتوقَّفت في كتاب الدر النظيم هذا دواء أسهل وأقرب»، وقد اعتمد في علاج بعض مرضاه على كتابة الآيات والسور بماء الزعفران وماء الورد، وتوضع في إناء يشربونه، وقد كان هناك نتيجة لَمَسَها مرضاه في التشافي بآيات القرآن الكريم «ولم يعد إليها –الداء– إلى أن جازت نحو العشر سنين وماتت».

ووجود تلك الاعتقادات عند أفوقاي لا يُخَوِّلنا للحكم على عقيدته وإيمانه، أو إيمان أي شخص، إنما وجَب الوقوفُ عند ذلك، حيث بدت من خلالها نزعته

وميوله الصوفية جليةً، وهي السمة التي تميزت بها هذه المرحلة التاريخية في العالم الإسلامي أجمع، وإن كنا لا نتفق مع تلك النزعة لمخالفتها كثيراً من الأمور التي درج عليها السلف الصالح.

كان أفوقاي يحمل نَفْسًا لوَّامة دائمة المحاسَبة لنفسه، شديد الإيمان، فكثيرًا ما يخاطِب نفسَه ويحدِّثُها ويُكثِر عليها اللوم والمحاسَبة والنصح، كما مر معنا، وغالبًا ما يختم كتاباته بأدعية يرجو فيها رحمةَ ربه وعفوه، وقد خصَّص في كتابه بابًا يشكر فيه الله على ما أنعم به عليه وفضله عليه، وكان حريصاً على أداء شعائره الدينية أثناء رحلته مستعينًا ببعض العلوم الفلكية لتساعده على معرفة مواقيت الصلاة، وكان يتعوَّذ من كل بدعة غير مستحسَنة، وهنا يظهر التناقض الواضح عنده، خاصة عندما يقول عن أعمال الشعوذة: «وأما ما يكون مستعملاً من الشيطان أو بالشعوذة فإنهم يصنعون ذلك من غير أن يُطلَب منهم، ولا يحصل منها نفعٌ حقيقيٌّ أبدًا ظاهرًا ولا باطنًا، وهم الذين يجذبون الناسَ ليروا ما يعملون، وإذا طلبهم أحدٌ أن يصنعوا شيئًا من خوارق العادات غير الذي يُظهِرون، فلا يقدرون عليها، وصاحب الشعوذة يعمل العجائبَ لعله بذلك يُفرح الناظرين ويعطونه شيئًا ليعيش به».

## ثالثاً – دور أفوقاي في الجهاد ضد النصارى:

عندما نتوقَّف عند طلب أفوقاي للقسيس أن يمكِّنه من مطالعة الكتاب الذي لم يقرأ المسمَّى حقيقة الإنجيل كي يحاول أن يفكَّ رموزَه أو يستخرج منه شيئًا حسب تعبيره، وردّ القسيس بـ «لم يبلغ الزمن الذي يُقرأ فيه الكتاب» نستطيع أن نستشف شغفَ أفوقاي ومحاولته فكَّ ما استعصى عليه من كتب النصارى؛ رغبةً في التصدي بقلمه وقوة حُجته على ما ورَد فيها من تحريفات، معتبرًا ذلك نوعًا من أنواع الجهاد، يؤكِّد ذلك إذا ما عرفنا أن أفوقاي لم يكتفِ بردِّ القسيس

عليه، بل نجده يستطلع وراء ذلك الكتاب إلى أن عاين نسخةً منه فيقول: «وقد وجدتُ في تونس –حرسها الله– نسخةً منه بالعربية، وأخرى بالأعجمية، أتى بالنسختين واحدٌ من الأندلس الذي كان يترجم»، وتؤكد العبارةُ السابقةُ أن أفوقاي لم يكن الوحيد الذي يحاول التصديَ لتحريفات النصارى وأباطيلهم بل يوجد غيره من الموريسكيين، وهو ما يشير إليه قولُه: «أتى بها واحد من الأندلس كان يترجم،... ووجدت في الأعجمية الباطل والكذب ما لا كان في النسخة العربية»، وهنا يظهر– بوضوح– اجتهادُ كل جهة من الطرفين – المسلمين والنصارى– في أن يسعى كلٌّ منهم من خلال ترجمته لهذا الكتاب إلى إضعاف حجة الطرف الآخَر، ما يدل دلالةً واضحةً على وجود صراع وجهاد بالقلم بين الطرفين؛ ما جعل أفوقاي يُسَخِّر قلمَه وثقافتَه للجهاد، فلعله يحقق بذلك ما أخبره به قاضي المسلمين في مراكش حيث قال له: «إنه من الجهاد الرد على الكفار فيما يقولونه من الباطل، في الأديان والحمد لله والشكر له على ما جاهدنا معهم»، خاصة إذا علمنا أن عدداً مهماً من المهجّرين عادوا بطرق مختلفة إلى إسبانيا، فإن انتشار المؤلفات الجدلية عموماً وطلب شيخ المالكية في عصره الأجهوري خصوصاً من أفوقاي تأليف كتابه المتضمن مجادلاته غير مستغرب، ويدخل ضمن مساعدة الموريسكيين على تجديد دينهم أو حتى اعتناقه من جديد، في إطار حرب استقطاب الأتباع الضالين في ظرف زماني ومكاني ظهر فيه نسبياً سهولة تغيير الفرد لانتمائه الديني.

وقد سخر أفوقاي قلمه وفكره للجهاد بالدفاع عن الدين الإسلامي بعد محاربته في الأندلس، كما عاصر حركة الإصلاح الديني بأوروبا في وقت يرى فيه الحاجة ماسة للدفاع عن الدين وأنه نوع من أنواع الجهاد؛ فطالما لم يتيسر له الجهاد ضد النصارى في أرض المعركة فلعله يدركه بقلمه ومناظراته وهو يراه ركنا عظيما، فيقول: «اعلم أن الجهاد ركن عظيم في الإسلام». وأورد

عددًا من الأحاديث عن أهمية الجهاد، هذا، وأوضح أنه تعلَّم وقرأ كتب الديانة النصرانية بهدف الرد عليهم، ويقول في ذلك: «فقرأتُ الإنجيلَ وغيرَه بسببهم لنردَّ عليهم من كتبهم، ونَصَرَني **الله** عليهم مرارًا عديدة»، وفي قوله: نصرني تأكيد لنظرته الجهادية بالقلم والفكر، أما اليهود فيقول: «فوجدتُ التوراةَ مكتوبةً بالكلام الأعجمي وقرأتُها كلَّها، وهي أربعة وعشرون كتابًا، ووجدتُ فيها مواضعَ كثيرةً ما نرد عليهم منها مُوافِقًا لدِينِنا، كما وجدتُ في الإنجيل».

واستحضر أفوقاي الجهاد عندما تعرض لهوى النفس أمام إحدى الفتيات في باريس، ورأى في هذا الموقف أنه اجتمع عليه أنواع الجهاد: جهاد الخصام مع النصارى على المال المنهوب من المسلمين، والذي حضَر لفرنسا من أجله، وجهاده وصبره على المناظَرات الدينية للدفاع عن الدين، والآن «جهاد الخصام مع النفس والشيطان»، وفي أحيانٍ يتسرب الفتور والجزع لنفس أفوقاي أثناء بعض مجادلاته الدينية، ولكنه كان يذكر نفسه بأن ذلك جهاد، يقول: « ومهما قصرت من الخوف أو الجزع فكان ينزل علي الذل عندهم، ولما رأيت ذلك وتحققت وفهمت أن **الله** –سبحانه– أراد مني أن نجاهد معهم بقوة، فكنت أقول لهم مالا سمعوه من مسلم قط، وينصرني **الله** عليهم».

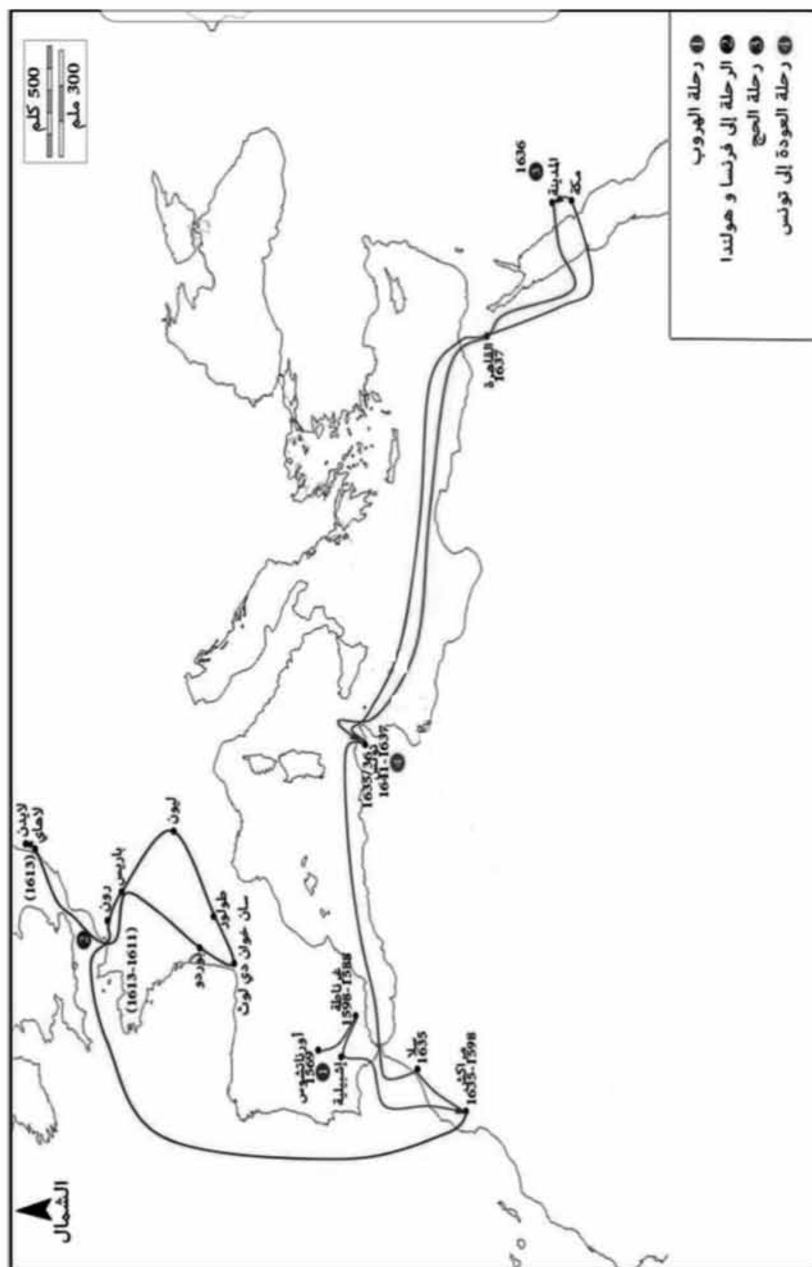
# الخـاتمة

ساهَمت كتبُ الـرحـلات في تقديم مـادة قيِّمة في مجـالات عـدة، منهـا التـاريـخ والجغرافية، والأدب، والسِّيَر والأخبـار والسياسة، فهي مصدر أصيل حـافل بـالنصوص النثرية والشعرية والرسائل المهمة، ذات الارتبـاط بظروف رحلاتهم، مـا أضـاف لتلك الرحلات أهميةً خـاصةً، وبعض الرَّحَّـالة لم تُعرَف سِيَرُهم، ولم تدوَّن إلا من خلال مـا سجَّلوه عن أنفسهم في رحلاتهم، **ومن خلال دراسة رحلة أفوقاي وسيرته اتضح لنـا عدد من النتـائج المهمة والتي يمكن عرضـها فيما يأتي:**

- يعتبر كتـاب «**مختصـر رحلـة الشهاب إلى لقـاء الأحبـاب**» أو «**نـاصـر الـدين علـى القـوم الكـافرين**» وثيقة موريسكية مهمة أُرخت لحـادثة إبعـاد المسلمين من إسبـانيـا خلال سنتي 1018–1022هـ/1609–1614م من قبل الجمـاعـات الموريسكية المهجرة نفسهـا.
- إن كـان كتـاب «**رحلـة شهـاب إلى لقـاء الأحبـاب**» قد فُقد؛ فـإن مختصـر رحلة الشهـاب قد حفظ لنـا ذلك الإرث التـاريخي الذي تركه أفوقـاي من بعده ولا يقل في قيمته التـاريخية التوثيقية عنه، وبـالرغم من أن كتـاب «**العـز والمنـافع للمجـاهدين في سبيل الله المدافع**» فقد أهميته الفنية اليوم بسبب تطور الأدوات والمعدات الحربية؛ إلا أن أهميتـه التـاريخية مـا زالت قـائمة في العصـر الذي كُتب فيه خـاصة أن المدافع كـانت من أهم الأسلحـة الحربيـة آنذاك.
- أسهمت الدراسة في تقديم شيء من سيرة المؤلف بنـاءً على المعطيـات التي تم الوقوف عليهـا من خلال: مختصـر الرحلة ووثـائق أخرى من مؤلفـاته، فضلاً عن المعلومـات التي توصل إليهـا كل من درس سيرتـه من بعض البـاحثين.
- قدم أفوقـاي العديد من الجهود لخدمـة الدين الإسلامـي وانبرى للدفـا ع عنه

في وقتٍ سعى فيه النصارى لإقصاء المسلمين من الأندلس، مشهراً سلاح الفكر والقلم للجهاد ضدهم داخل وخارج الأندلس.

- وقفت اللغة العربية شامخة بالرغم من حرص السلطات الإسبانية على ملاحقتها وطمسها، فكانت حية في الخفاء بين الموريسكيين حتى القرن الحادي عشر الهجري/ أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وقد جسد ذلك الشهاب الحجري الذي يكتب ويترجم من وإلى اللغة العربية بطلاقة وبراعة؛ ما جعل النصارى يستغلون تلك المهارة لديه في ترجمة بعض الإرث الحضاري الإسلامي.
- كشفت الدراسة عن بعض القضايا المتعلقة بالتاريخ السياسي الموريسكي المعاصر، وأظهرت الجانب الوحشي لعمليات التنصير وحملات التهجير، وحفظت لنا رحلة أفوقاي وثائق مهمة منها: نص قرار إبعاد وتهجير وترحيل مسلمي الأندلس، وما ترتَّب على هذا القرار من اضطهادات وتعسُّف وانتهاكات، كما أظهرت جزءاً كبيراً من الظواهر الاجتماعية في ذلك العصر، وأرخت متقلبات الموريسكيين بعد سقوط الأندلس.
- أبرزت الدراسة مايتمتع به أفوقاي من ملكة علمية متعددة المشارب، أهلته ليكون سفير الديوان السلطاني، كما سلطت الضوء على علاقاته السياسية القوية ببعض الأصدقاء من العلماء المستشرقين، كما برزت حاسته النقدية التاريخية الواضحة في كتاباته.
- وقفت الدراسة على معاصرة صاحبنا لظهور الثورة العقدية الدينية التي عمَّت أوروبا، وشملت الكنيسةَ الكاثوليكية ورجالاتها خلالَ تلك الفترة وما ترتَّب على ذلك من آثار بدَت واضحةً في كتابات المؤلف، مما ضعف دور الكنيسة، وساهم في انتشار المناظرات والمجادلات الدينية التي برع فيها أفوقاي، ووظفها لخدمة الإسلام والمسلمين.



رحلة الهروب
الرحلة إلى فرنسا و هولندا
رحلة الحج
رحلة العودة إلى تونس
500 كلم
300 ملم
الشمال
لايدن
لاهاي
(1613)
روان
باريس
ليون
طولوز
بوردو
سان جون دي لوز
(1613-1611)
القاهرة
1637
المدينة
مكة
1636
1635
1598-1635

# المراجع

## أولاً ـ المراجع العربية:


أحمد بابا بن أحمد بن عمر الصنهاجي التنبكتي، *كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج*، تحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000م.

أحمد بن خالد الناصري، *الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى*، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.

أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي، *ناصر الدين على القوم الكافرين، مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب*، تحقيق محمد رزوق، طـ1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1987م. ناصر الدين على القوم الكافرين، تحقيق، حسام الدين شاشية، طـ1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2015م.

أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة *الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.

أحمد بن محمد المقري التلمساني، *روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس*، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983م. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1997م.

إسماعيل بن حماد الجوهري، معجم *الصحاح قاموس عربي مرتب ترتيباً ألفبائياً وفق أوائل الحروف*، اعتنى به خليل مأمون شيحا، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2005م.

بسام الجمل، *الإصلاح الديني الحديث في أوروبا مفهومًا ومسارًا تاريخيًّا*، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تونس،10/ أبريل/ 2014م.

جمال الدين شرقاوي، *نبي أرض الجنوب*، ط1، دار هادف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م.

أبو حامد الغزالي، *إحياء علوم الدين*، دار الشعب، القاهرة، د-ت.

حسام الدين شاشية، *الجدل الديني من خلال «كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين»*، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تونس، 2015م.

حسام الدين شاشية، تحقيق: *كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين: محاولات الاحتكار والنقد التجاري*، الرابط:
https://moriscostunez.blogspot.com/2018/01/blog-post_48.htmlm=1

خير الدين الزركلي، *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*، ط14، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م.

رشا الخطيب، أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي *«أفوقاي» المترجِم والرحَّالة والسفير*، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2018م.

أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، *روضة الطالبين وعمدة المفتين*، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي معوض، طبعة خاصة، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، 2003م.

السيد أبو القاسم الخوئي، معجم *رجال الحديث وتفضيل طبقات الرواة*، مكتبة الإمام الخوئي، النجف.

شهاب الدين أحمد الخفاجي، *ريحانة الألبا في زهرة الحياة الدنيا*، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط1، مطبعة عيسى الباني، مصر، 1967م.

العباس بن إبراهيم السملالي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، راجعَه عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م.

عبدالجليل التميمي، *السياسة العثمانية تجاه طرد الموريسكيين الأندلسيين ومرورهم بفرنسا والبندقية سنة 1610-1609م*، المجلة التاريخية المغاربية، ع 80-79، 1995م.

عبدالرحيم الخليفي، *المدجنون والموريسكيون: نظرة في المصطلحين*، مجلة إشكاليات فكرية، 2018/1/1م.

أبوعبدالله محمد بن خلف الوادي ياشي، *الدر النظيم في منافع بعض آيات القرآن العظيم*، مخطوطة رقم 140011393، الخزانة الحسنية، المغرب، ومخطوطة رقم 20190668، دار المخطوطات الإسلامية، الجامعة القاسمية، الشارقة، رقم الحفظ 383/ مفرد.

عبدالله بن محمد العياشي، *الرحلة العياشية*، حققها وقدم لها د. سعيد الفاضلي ود. سليمان القرشي، دار السويدي للطباعة والنشر، أبوظبي، 2006م.

عبدالوهاب بن منصور، *أحمد بن قاسم الفقاي آخر موريسكي يؤلف بالعربية ويدافع جهرة عن الإسلام*، الأكاديمية، المغرب، ع12،1995م.

علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، *المغرب في حلى المغرب*، تحقيق شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1964م.

أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك*، تحقيق محمد تاويت الطنجي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1983م.

لسان الدين ابن الخطيب، *معيار الاختبار في ذِكْر المعاهد والديار*، تحقيق محمد شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

محمد بن الأبار القضاعي، *الحلة السيراء*، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1985م.

محمد بن أحمد العبدي الكانوني، جو*اهر الكمال في تراجم الرجال*، المطبعة العربية، الدار البيضاء، 1934م.

محمد أمين بن فضل الله المحبي، *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1284هـ.

محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، د- ط، منشورات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976م.

محمد حجي، *معلمة تاريخ المغرب*، قاموس مرتَّب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1989م.

محمد الصغير الإفراني، *صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر*، المطبعة الحجرية، فاس، د- ت.

محمد الصغير الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998م.

محمد بن عبدالرفيع الشريف الحسني المرسي الأندلسي، مخطوطة كتابه *«الأنواء النبوية في آباء خير البرية»*، الخزانة العلوية، الرباط، عدد ك 1238.

محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، انظر كتابه **مشكاة المصابيح**، تحقيق محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

محمد بن عبدالمنعم الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، معجم جغرافي، تحقيق إحسان عباس، طـ2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تحقيق محمد حجي، ط3، منشورات التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 2003م.

محمد بن عيسى الترمذي، جامع *الترمذي*، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ط2 مصححة ومرقمة ومرتبة حسب المعجم، السعودية، 2000م.

محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تحقيق محمد صبحي وأحمد التوفيق، دار المغرب، الرباط، 1977م.

محمد قشتيليو، حياة *الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجَها*، طـ1، مطابع الشويخ، تطوان، 2001م.

ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم *البلدان*، ط3، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.

## ثانياً - المراجع الأجنبية:

Le Milieu Hispano- Moresque de L’evangile Islamisant de Barnabe (XVI – XVIIS) in Islamo Christinana, Rome 1982, 8, pp. 160-183.



## Abstract

The journey book *(Rihlat al-Shihāb al-Hajari)* of al-Shihāb al-Hajari nicknamed Afūqāy is considered one of the important historical documents that chronicled the event of the expulsion of the Moriscos from al-Andalus, and it is the only source that preserved for us something from his biography and his news in addition to his letters and writings that are very important, after the sources neglected his mention and lost his traces. The significance of this research relates to an extremely important historical circumstance, during which the author authored his book (Rihlat al-Shihāb al-Hajari) and wrote his letters, when the decision to deport and displace Muslims from al-Andalus was made, Also, it relates relates to the documentary role played by the journey in documenting the events of the last period of the Islamic presence history in that land, especially since it was written by a Morisco, an eyewitness who lived through the events of deportation and displacement exclusion of Muslims there, as well as the journey documented his efforts and scientific output.

***keywords:*** Afūqāy, al-Shihāb al-Hajari, the Moriscos, the Christians, the Catholic Church.

**The Author:**

**Professor. Badria bint Abdulaziz al-Awhali**

- Professor of Islamic History College of Sciences and Humanities , Professor of Islamic History College of Sciences and Humanities, Sharqa University and Former Dean and Agent of the Institute of Studies and Consulting Services.
- Editor-in-Chief of the Journal of Humanities and Administrative Sciences.

**Publications:**

1- The Islamic City in the Writings of Dr. Ibrahim Boutchich, S. Posted in Renewal Trends in Professor Brahim El Kadiri Boutcich, S., Writing of History, 2022.

2- Ceuta (Sebta) and Its Role in the Conflict between the Powers over the Northern of Morocco during the First Half of the 4th Century AH- 10th Century AD (Historical Study), Umm Al- Qura University, 2022.

3- Interculture between Muslims and Christian in Andalusia from Fatah until the Fall of the Umayyad Caliphate, 92-442 AH/ 711-1031 AD, Civilizational Historical Study, Jordan Journal for History and Archaeology, No. 2, Vol. 14, June 2020.

4- Civilizational Aspects of Ibn Abdoun's Book "A Message about the Judiciary and Reward (Al-Hassba) "(Education as a Model) A Comparative Historical Civilized study, Cairo University, 2019.

5- Nationalism in the Writing of Andalusian History, Cairo University, Issue 39, 2013.

6- General Features of Books of Translations in Andalusia, University of Malaya, Academy of Islamic Studies, 2012.

7- Efforts of Al-Murqui in the Historical Research through His Writing "Fragrance in Al-Andalus Dewy Branch", (1578-1632), 2003. (Under Printing).

8- Sources of Ibn Bassam Al-Shantarini in His Writing of Repertory of the Merits of the Island's People "An Analytical Study", (1058-1147), 2008. (Under Printing).

9- Medical Contribution of Lisan Uddin Ibn Al-Khatib through "Convincing Querier in the Immense Disease, Imam Muhammad Bin Saud Islamic University, 2017.

10- Women in the Writings of Ibn Hazem, within International Conference on Applied Sciences ICBTS, University of London, 2014.

11- The Islamic City in the Writings of Dr. Ibrahim Boutchich,s.Posted in Renewal Trends in Professor Brahim El Kadiri Boutchich,s Writing of History, 2022.

Monograph (615)

# The Role of Andalusian Travels in Documenting the Last Period of the Andalusian History: An Analytic Historical Study

**Prof. Badria bint Abdul Aziz Al-Ohali**
College of Sciences and Humanities
Shaqra University
Saudi Arabia